أبو لُجَين إبراهيم

# رهائـن البحـر

## قصة واقعيـة

obeikandl.com

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

[ **الأنعام** : ٦٣ ]

obeikandl.com

obeikandl.com

# على ضفاف الضفاف

**رهائن البحر .. قصّة واقعية ..**

ولكن أحداثها المرعبة وفصولها المثيرة لا تزال تظهر أمام نواظرهم كالحلم المُرعب، أو الكابوس الثقيل، ولذلك فكلما هموا أن يكتبوا عنها تهيأت لهم لحظة الموت، أو صورة أسد يفغر فمه ويكشر عن أنيابه، وحينئذ تداهمهم رجفة الموقف، وترعبهم هيبة الحدث، وتعصف بهم الذكريات المثيرة، حتى تدفعهم بقوة إلى أن يمسحوا وجوههم بباطن أكفهم؛ ليتلمسوا أجزاء أجسامهم، وليتحسسوا نبض الحياة، وهنا يختلط عليهم تسلسل الأفكار، وتضطرب المشاعر، ويتوقف القلم عن الكتابة.

obeikandl.com

obeikandl.com

# عشق..

إبراهيم من سكان مدينة الخبر الواقعة على الشاطئ الشرقي للمملكة العربية السعودية، ومنذ صغره وهو دائم الذهاب إلى البحر، وممن يعشق الرحلات البحرية، ومن هواياته تشهي ما لذ وطاب من الأكلات البحرية، ولا غرابة في ذلك؛ فأبناء المدن الساحلية، أغلبهم يحبون الرحلات، وممارسة صيد الأسماك، والاستمتاع بالأجواء والهوايات البحرية في كل الأوقات، وبخاصة عند حلول إجازة نهاية كل أسبوع.

وعندما أصبح إبراهيم في سن الشباب، كان مما يدور في ذهنه هو تحقيق حلم راوده منذ سنوات، وهو شراء قارب بحري، وهنا يستطيع أن يبحر في أعماق الخليج كل أسبوع، ويشبع روح المغامرة لديه بالذهاب بعيداً عن الشاطئ.. إنه بذلك يتمكن من ممارسة

obeikandl.com

هواية صيد الأسماك، ويظفر بحصيلة مناسبة من الأسماك الطرية، فيهديها لأسرته وأقربائه وأصدقائه.

وبعد عدة أعوام دخل إبراهيم عالم الوظيفة، وأصبح له دخل معقول، جمع منه مبلغاً مناسباً من المال.. اشترى به قارباً حديثاً يلائم ما كان يطمح إليه.

ظل الشاب إبراهيم يترقب -على أحر من الجمر- نهاية كل أسبوع؛ لينطلق بقاربه منفرداً أو مع بعض أصحابه، بعد أن يكون هيأ قاربه بالوقود وبالمؤن اللازمة؛ ثم يبحر بعيدا.. بعيداً حيث تكمن المغامرة والمتعة.

يحرص إبراهيم في كل رحلاته البحرية على اصطحاب الأصدقاء والزملاء، وقضاء أسعد الأوقات معهم.. إنها أجمل الأوقات لديه؛ حيث ينعم بالأجواء البحرية، وبالمشاهدة المباشرة لأمواج البحر الهادئة، ورؤية أنواع الأسماك والكائنات وهي تجوب المياه روحة وجيئة، كما لا يمل من قضاء ساعات من الرحلة في ممارسة صيد السمك، ومن ثم مشاركة الأصدقاء في أكل ما لذ وطاب منها بعد شويها أو طبخها.

ورغم قوته البدنية الظاهرة، وجرأته وروح المغامرة لديه، وقدرته الفائقة على ممارسة فنون السباحة القصيرة والطويلة، إلا أنه كان شديد الاهتمام بموضوع الكشف عن أحوال قاربه قبل انطلاق كل رحلة، وتجهيز القارب بكل ما يحتاج من الوقود والمؤن ووسائل السلامة.

obeikandl.com

وقبل أن يحل المساء يحرص إبراهيم دائماً على إنهاء الرحلة، والعودة أدراجه إلى الشاطئ، محملاً بغنائمه الوافرة من الأسماك، مع عزمه الأكيد على تكرار ممارسة هوايته المفضلة في نهاية كل أسبوع.

obeikandl.com

obeikandl.com

# رحلة..

منذ نعومة أظفاره توثقت علاقة إبراهيم بالشيخ محمد الداعية الإسلامي المشهور والخطيب المفوّه، والباحث المحقق، وإمام الجامع الأشهر بمدينة الخبر، ومن حرصه على إكرام الشيخ، كان يدعوه بين وقت وآخر إلى جلسة على الشاطئ، حيث يشرح له جمال البحر، ومتعة التجوال فيه، وما فيه من أنواع السمك التي يلذ أكلها خاصة عندما تكون طازجة.

ومن هنا بدأ إبراهيم لاحقاً بعرض فكرة القيام برحلة صيد بحريّة على صاحبه الشيخ محمد، وكان قصد إبراهيم من ذلك الترفيه عن الشيخ، وإخراجه من زحمة أعماله المضنية في التأليف، والخطابة، وإلقاء المحاضرات، والحديث في البرامج الإعلامية، وإمعاناً في الكرم اختار إبراهيم أن تكون رحلة صيد قصيرة في

obeikandl.com

عمق البحر، حتى يشاهد الشيخ جمال البحر وما فيه من الآيات والعجائب والمخلوقات، التي تدل على عظمة الخالق -جل وعلا- وعجائب صنعه.

تردد الشيخ محمد في الاستجابة لطلب إبراهيم كثيراً، وتعلل بضيق الوقت، وانشغاله بأمور الدعوة والإرشاد، كما كان الشيخ محمد متخوفاً من ركوب البحر؛ لكونه أول مرة يقوم بهذا النوع من الهوايات، ولعل أكثر ما زاد من تردد الشيخ هو عدم إجادته للسباحة، ولكن إبراهيم أصر على مرافقة الشيخ إياه ، وأغراه ببعض قصصه الشائقة مع البحر، وقدراته الفائقة في هذا المجال، كما أفاض في الحديث عن معرفته للمناطق البحرية القريبة ومسالكها المختلفة، وأنه قد أعد للرحلة كل ما يلزمها من التموين ووسائل السلامة.

obeikandl.com

# في عرض الخليج

وأمام إصرار إبراهيم، ولمكانته الشخصية لديه، لم يجد الشيخ محمد بداً من طرد وساوس التردد، والاستجابة لطلب صاحبه الأثير، وبخاصة وأن الرحلة لن تتجاوز ساعة أو ساعتين في آخر النهار، ومن ثم العودة عند حلول المساء.

اتفق إبراهيم مع الشيخ أن يكون الانطلاق من مرفأ مدينة الملك فهد الساحلية في نهاية الأسبوع، وبالتحديد بعد صلاة العصر في أحد أيام الخميس من فصل الصيف.

حضر إبراهيم والشيخ محمد معاً في الموعد المقرر، وأحضر الشيخ معه ابنه أنس الطفل الصغير ذا الثلاثة الأعوام ؛ ليرى البحر، وينعم معهما بهذه الرحلة.

obeikandl.com

عند وصول المجموعة إلى مرفأ مدينة الملك فهد الساحلية، ركب الجميع القارب الموسوم: «هاني الأول»، وغادروا الشاطئ في حوالي الساعة الثالثة والنصف عصراً على متن القارب الصغير.

قاد إبراهيم قاربه، وظل يمخر به عباب البحر في جو صيفي عليل، وفي عصرية ساكنة النسمات.. زكيّة النفحات.. تحيط بهم زُرقة البحر، ومياهه الصافية، وتغمرهم من الأعلى زُرقة السماء المطرزة بقطع بيضاء من السَّحاب المبعثر كاللؤلؤ المنثور.

كان إبراهيم في غمرة سروره وفرحه؛ لقبول الشيخ دعوته، ولم يزل يفكر في كيفية إدخال المتعة والحبور إلى نفس ضيفه، وبخاصة مع توافر ذلك الجوّ الرائع والمنظر الساحر.

أما الشيخ فبدأ حديثه بتذكير إبراهيم بتلاوة أدعية السفر، كما التفت إلى صغيره أنس، وراح يلقنه بعض الأدعية المأثورة، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن عظمة الله، وعما قرأه من عجائب البحر، كالتي جاءت في حديث القرقور، وفي قصّة صاحب الأخدود.

ومع الحديث الماتع للشيخ ذهب إبراهيم بعيداً في عُمق مياه الخليج جنوباً، وما لبث أن أوقف قاربه في منطقة بعيدة عن شاطئ نصف القمر، ثم بدؤوا عمليّة الصيد، وما هي إلا دقائق معدودة حتى ظفروا بسمكة كبيرة لم يستطع هو وصاحبه جذبها إلى سطح القارب إلا بصعوبة بالغة، وفي هذه اللحظة صرخ الطفل أنس خوفا من تلك السمكة، ولكن والده سارع إلى طمأنته، وبيان محاسنها

obeikandl.com

وصفاتها وفائدتها، وجودة لحمها، وطرد من روعه الخوف منها، ووعدَه بوجبة عشاءٍ بحريّة لذيذة تكون سمكته المرعبة هي بطلة مائدتها!!

obeikandl.com

obeikandl.com

# يا للمفاجأة..

بعد صيد السمكة الكبيرة طمع إبراهيم في مزيد من الصيد، فعزم بعد التشاور مع الشيخ محمد على تغيير مكانهم للظفر بصيدٍ آخر، وبعد وصولهم إلى الموقع الجديد، حدثت المفاجأة.. لقد توقف المحرك الأساسي في القارب عن العمل، وهنا حاول إبراهيم كثيراً أن يوظف خبرته في تشغيله، ولكنه بعد عدة محاولات لم يفلح في مسعاه، فتوجه مباشرة لتشغيل المحرك الإضافي، وهو محرّك أضافه مؤخرا إلى قاربه بناءً على الشروط التي وضعها حرس الحدود لتأكيد وسائل السلامة البحريّة، إضافة إلى وجود أطواق للنجاة.

بعد تشغيل المحرّك الاحتياطي عزم إبراهيم على التحرك مباشرة باتجاه الشاطئ، ولكنه فوجئ بأن الخزان المجاور للمحرك قد امتلأ

obeikandl.com

بالماء لأسباب لم يدركها حتى الآن، ربما يكون لحدوث خلل فني في صُرّة القارب المخصصة لتنظيفه.

وهنا تصاعدت أنفاس إبراهيم، وحاصره القلق من كل جانب، وداهمه الخوف لأول مرة.. ليس على نفسه؛ فهو سباح ماهر قادر على قطع المسافات الطويلة، ولكن فزعه كان على حياة ضيفه الشيخ محمد وابنه أنس اللذين لم يكونا يجيدان السباحة.

ماذا سيكون موقفه مع الشيخ الذي استضافه ليكرمه، فانقلب حال الرحلة إلى ما يشبه المأساة، وتواردت في نفسه وساوس مفزعة حول مصير الشيخ الجليل الذي نفع الله بعلمه القاصي والداني، وفتح الله له قلوب كثير من الناس، واعتصره الألم مرة أخرى على الطفل البريء الذي لا يعلم حقيقة ما يجري حوله، وكيف أتى به والده ليستمتع بهذه الرحلة البحرية فإذا به يدخل في معاناة يعجز عنها الأشداء من الرجال.

وبعد ثوان معدودة حزم إبراهيم أمره، وعزم على مواجهة الموقف بكل شجاعة.. في البداية حاول أن يطرد ما يدور في ذهنه من الأفكار السلبية واليائسة، وأخذ يحاول أن ينزح الماء من الخزان المليء بالماء وكان الشيخُ يساعده في ذلك، ولكن هيهات.. لم تمر سوى ثوان قليلة حتى اختلَّ بعدها توازن المركب الصغير من الخلف، وفي هذه الأثناء يرمي الشيخ بابنه أنس الصغير يتلقفه إبراهيم، ليغوص القارب بعدها بسرعة عجيبة إلى قاع البحر.

obeikandl.com

وهنا تردد في مخيلته القول المأثور: كم من صيّاد أصبح صيدا، وكم من مخبرٍ أصبح خبراً عابرا، وتردد على مسامعه قول الشاعر:

جُبِلَتْ على كدرٍ وأنتَ تريدُها صفواً من الأقــذاءِ و الأكدارِ
ما إن يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِراً حتى يُرَى خبــراً من الأخبارِ

obeikandl.com

# رحلة إلى المجهول

لقد ابتلعت دوامة الموج القارب بمن فيه ؛ حيث غاص إبراهيم مع الطفل الصغير في الأعماق، ومن ثم صعد بصعوبة بالغة.. لقد كانت هذه اللحظة من أحرج اللحظات وأصعبها في حياة إبراهيم مع البحر، فالموقف كان أقوى من مهارات السباحة الفائقة التي يجيدها.. لقد كاد أن يفقد الطفل خلال عاصفة الموج السابقة لولا توفيق الله وعنايته وتثبيته.

عاد إبراهيم إلى سطح الماء بعد هدوء عاصفة القارب، وفي تلك اللحظات المريرة أمسكَ إبراهيم بالطفل وكلُّه تساؤل عن حال الشيخ ومآله، وكان لديه خوف على مصيره لعدم وجود أي إمكانية لنجاته أبدا، بسبب عدم إجادته للسباحة، وما هي إلا دقائق معدودة، فإذا إبراهيم يعثر على صاحبه الشيخ بفضل الله وقد أمسك بجالون

obeikandl.com

فارغ، ومن كرم الله ولطفه أيضا، أن ذلك الانقلاب السريع للقارب قد تسبب في فتح صندوقٍ مغلقٍ كان يحوي أطواق النجاة التي طفت بدورها حولهم على سطح الماء، فاهتبل إبراهيم هذه الفرصة السانحة، وألقى بواحد من أطواق النجاة إلى الشيخ، وبذلك استعاد توازنه، وجذب طوقا آخر له فلبسه، وابتدأت معاناة جديدة عزموا من خلالها إلى الوصول إلى الشاطئ البعيد.

لقد غرق القارب ووجد ركابه أنفسهم على سطح مياه الخليج، وفي منطقة نائية بعيدة عن حركة السفن التجارية، وقاصية أيضاً عن طريق هواة الصيد ورحلات المتنزهين.. ظلوا معاً تتقاذفهم الأمواج، وليس أمامهم أي خيارات متاحة سوى التشبث بأسباب الحياة.

obeikandl.com

# قبيل الغروب

لقد تحولّت تلك المياه الزرقاء الجميلة في عيونهم وأحاسيسهم إلى أخطبوط قاتل، وخطر داهم، وتبدّل ذلك الصفاء الذي كان يسود أجواءهم إلى هلع وفزع، وانقلب ما كانوا فيه من بهجة وسرور إلى رعب وكمد.

كانت مشاعر الخوف وتأنيب الضمير تتزاحم داخل نفس إبراهيم بشدة، ولكنه في تلك اللحظات القاسية لاذ إلى ما يغمر قلبه من الإيمان والتسليم لقضاء الله، ورجاء فرجه القريب، وكان يمني نفسه ويسليها بقوله: مهما استحكم الأمر فالفرج قريب، ولا منجى من الله إلا إليه، ولا حول ولا قوّة للإنسان إلا به.

كان الوقت قبيل الغروب، وكان لدى إبراهيم بعض الأمل والرجاء في الإنقاذ والإسعاف من قبل رجال حرس الحدود، أو بمرور أي من هواة الصيد بالقرب منهم فيمد لهم يد العون والمساعدة، إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث.

obeikandl.com

تمر الدقائق على إبراهيم طويلة طويلة.. أطول من امتداد البصر، وأبعد من مدى البحر الذي يحاصره، ويضمحل الرجاء لديه فيما سوى الله من أسباب، ومع إغماض الشمس عينها يتلاشى الأمل تماماً، ولا يبقى سوى الرضا بالقدر والتعامل مع الواقع الصعب.

وبغروب الشمس يسدل الستار على عصرية يوم عصيبة لا زال الجميع يكابد لحظاتها ويتجرع نتائجها الوخيمة.. تركت الشمس ركاب القارب وهم على واقع رجل يصارع به الأمواج يحمل على ظهره طفلاً صغيراً... ورجل آخر متعلّق بجالون وطوق نجاة هما بالنسبة له كل ما تبقى من أسباب النجاة وفرصة الحياة ... لقد كان إبراهيم يصارع الأمواج مرتين : مرة ليحمي الطفل ، ومرة أخرى ليحمي نفسه؛ ليظل قادراً على حماية الأب أيضاً وهو يراه يطفو أمامه على جالون وطوق نجاة يكاد يفلت منه.

وفي كل الأحوال لم يبق للجميع سوى الدعاء الخالص، والتوكل الصادق على الله – عز وجل – الذي سلموا له أمرهم، وأيقنوا أن بيده نجاتهم أو هلاكهم، فله الأمر من قبل ومن بعد، قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ** ﴾ [ **الأنعام**: ٦٣– ٦٤ ] .

# الثبات..

في هذه الظروف الصعبة تظهر معادن الرجال، ويختبر صدق الإيمان، ويروي إبراهيم أن الشيخ محمد كان رغم سوء حالته، وعدم قدرته على السباحة، كان أثبت منه إيماناً وأقوى عزماً، وأقرب إلى الله عزّ وجل، ويذكر في هذا السياق أن الشيخ كان يشد من عزمه كلما فتر، ويذكره بالرجاء والأمل في غوث الله سبحانه كلما ضعف، ويذكره أيضاً بفضل اللجوء إليه في الشدائد، كما أوصاه بإشغال قلبه ولسانه بالذكر، ولقنه أدعية الهمّ والكرب، ومنها دعاء يونس عليه السلام: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، ويَذْكر إبراهيم أيضاً أن الشيخ قد ذكره بأداء صلاة المغرب على حاله، وبيّن له أحكام الوضوء، وكيفيّة الصلاة في مثل هذا الوضع الصعب.

obeikandi.com

إنها حقيقة معادن القلوب المليئة بالإيمان الصادق، والعقيدة الراسخة التي تتجلى ثمراتهما في أحلك الظروف، فلا تزيدها عواصف البلاء، وتتابع الشدائد، إلا رسوخاً كرسوخ الجبال، وهذه النفوس المطمئنة لا تدفعها غوائل الزمن والفتن إلا زيادة في حسن الظن بالله جل شأنه، واليقين في فرجه القريب.

استمر الشيخ قريبا من إبراهيم يؤانسه، ويزيد من ثباته، ويهوّن من وقع المعاناة عليه، ويبعث في نفسه الأمل والرجاء الأكيد في فرج الله القريب، ورغم ظلمة الليل، فقد كان يناديه بين الحين والآخر ليتأكد من رباطة جأشه وثباته.

ويستلقي الشيخ على ظهره ممسكا بطوق نجاته، وهو وضع يصعب معه رؤية ما حوله، ثم يسمع صوتا، فينادي على إبراهيم مبشراً بقدوم قارب، ويلتفت إبراهيم يمنة ويسرةً بقدر ما يسمح له وضعه، فيدرك بأنها طائرة عمودية.. ظنها في البداية تبحث عنهم حيثُ لوّح لها بيده تارة، وصرخ بقدر استطاعته تارة أخرى، ولكن لا حياة لمن تُنادي.. ظل كذلك ولسان حاله يجأر إلى الله بمثل قول القائل:

يُحَدِّثني خافقي عن نَدَاك ... ويُخْبِرُ عن جانبٍ مُمْرِعِ
ويُقْسِمُ لي أَنني إن أُيَمِّمْ ... حِمَاكَ أَفزْ بالحِمَى الأَمنعِ
وهأنذا لذْتُ حولَ ذَراك ... وناديتُ: يا أُمْنِيَاتي ارْتعي
وأَمَّلتُ فيكَ سبيلَ الخلاص ... فرُحماكَ بالخافقِ المُوجَعِ

# بين التفاؤل والتشاؤم

وعند غروب الشمس أخذت حركة أمواج البحر تتلاعب بهم صعوداً ونزولا، واقتراباً وابتعاداً.. أدرك إبراهيم حينها أنه بحكم اتجاهات الموج لا محالة سيفترق عن الشيخ، وهنا رأى رأي العين حقيقة قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ...**﴾ [النور: ٤٠] 40.

كانت الاحتمالات جميعها واردة لدى إبراهيم، إما أن يمنّ الله عليه وعلى من معه بالسلامة، أو أن يهلك ومعه الطفل أنس، أو ينجو ويهلك الطفل، أو أن يهلك الشيخ، ولكنه حينها كان يرى مزالق الموت أقرب إليهم من فرص السلامة والحياة.

عندما شعر إبراهيم بصعوبة حالهم، طلب من الشيخ -تحت وابل من تأنيب الضمير- أن يسامحه وأن يبيحه، مما كان يعتقد أنه

obeikandl.com

اقترفه في حقّه وحق ابنه وعائلته إنْ حصل لهما مكروه.. كلُّ ذلك انطلاقاً من شعوره بالتقصير فهو من اقترح هذه الرحلة، وهو من تولى إعداد القارب.

ويحينُ وقت صلاة المغرب، وعندها عمل إبراهيم بوصيّة الشيخ، فنوى الوضوء على وضعه، وصلى المغرب -ولأول مرة في حياته- فوق الأمواج، وهو في حالة من الخوف والترقب.

وبعدما أرخى الليل سدوله، لم يعد إبراهيم يستطيع رؤية صاحبه، ولكنهما كانا يسمعان الصوت، وينادي كل منهما الآخر بين الفينة والأخرى؛ حيث يقول الشيخ: يا إبراهيم كيف حالك؟ وكيف هي حال أنس؟، فيجيبه إبراهيم مباشرة: كلانا بخير، ثم ينقطع الصوت مدة، فينادي إبراهيم شيخه: يا أبا أنس كيف حالك؟ فيقول: أنا بخير، وهكذا كانت هي حالهم.

obeikandl.com

# فرقة..

وبعد أن استحكمت ظلمة الليل، بدأ الاتصال المباشر بين الطرفين يتلاشى تدريجياً حتى انقطع تماما، وكان ذلك بفعل حركة الموج التي دفعت كل واحد منهما في وجهة غير وجهة الآخر.

ومرت دقائق قليلة خيل فيها لإبراهيم أنه يسمع صوتاً يناديه، ولكنه لا يدري هل هو حقيقة أم مجرد أصداء مرتدة تعكس رجع نداءاته السابقة، وحتى يقطع الشك باليقين قام إبراهيم ينادي الشيخ بصوتٍ مرتفع.. نادى ونادى، ولكنه لم يجد أية إجابة.. أدرك حينها أن الشيخ قد افترق عنه، وأن وضعهم قد أصبح أكثر صعوبة من السابق، وهنا تذكر قول الشاعر:

أراكَ هجرتَني هجراً طويلاً  وما عوّدْتَني مِن قبلُ ذاكا

obeikandl.com

يعزُّ علي حينَ أديرُ عيني أفتشُ في مكانِكَ لا أَراكا
وما فارقْتَنِي طوعاً ولكنْ دَهاكَ من المصائبِ ما دَهاكا

لم تزل صورة الشيخ ترافق إبراهيم في تيهه.. يتذكر صوته المؤنس، وكلماته الدافئة، وإخاءه الحميمي.. هذا كله ثبت من قدمي إبراهيم، وأنار له شيئاً من قتامة الأفق المتجهم، وبعث في نفسه المضطربة الشعور بالأمن، وفتح له أبواب الرجاء من فرج الله أمام هجمات اليأس والقنوط التي تنتابه بين حين وآخر.

اشتد الابتلاء على إبراهيم أكثر من ذي قبل، ووجد نفسه يهيمُ في ظلمة الليل الداجي وبين أمواج البحر المخيفة العنيفة.. كان شعوره يتأرجح على الحد الفاصل بين الرجاء والقنوط.

ومما زاد الأمر سوءاً قيام الشيطان بدوره المعهود في الوسوسة، وبث اليأس والقنوط، ليفتَّ في عزم إبراهيم، ويثير في خاطره الكثير من الوساوس: أين صاحبك؟ لماذا لا يرد على نداءاتك؟ لماذا خَفَتَ صوتُه؟ ألا تعلم أنه لا يجيدُ السباحة؟!! ربما أصابه الإعياء!! ربما غمره الموج فغرق!! ولكن إبراهيم ما يلبث أن يستفيق من هذه الأفكار المتشائمة، و يعود إلى رشده، فيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

obeikandl.com

# تساؤلات بريئة

في تلك اللحظات، كان إبراهيم يعلم أنه يحمل فوق ظهره مسؤولية عظيمة، ووديعة غالية هي حياة ذلك الطفل الصغير بدمه ولحمه ومشاعره البريئة، ويدرك أيضاً أنه يحمل في عنقه أمانة رعايته وحفظه بما يحفظُ به نفسه.. يا لها من وحشة، ويا لها من مسؤولية، ويا له من ابتلاء عظيم وكرب جسيم!

وفي خضم هذه الأحوال السيئة، كان الطفل يمسك بإبراهيم بشدة، وكان إبراهيم من جانبه ورغم تركيزه على السباحة يتعاهده بين وقت وآخر ويتأكد من وضعه.

ولكن يبدو أن التعب والجوع قد أخذ مأخذه من الطفل أنس، فبدأ بطرح تساؤلاته البريئة على إبراهيم: وين رايحين يا عمو؟! أين هي السمكة الكبيرة التي صدناها؟ ثم تتصاعد حدّة الأسئلة منه مع

obeikandl.com

افتقاده أباه، وكذلك بسبب الإرهاق الذي أصابه، فيسأل عن والده: أين أبي؟ لماذا لا أراه؟ أريد أبي...

ولأن إبراهيم لا يملك أية إجابة على أسئلة الطفل، وفي حال صعبة لا تتيح له التفكير والبحث عن إجابات تهدئ من روعه.. في هذه الغمرة تضايق أنس، ولَجَّ في البكاء، ولم يكتف بذلك، بل راح يحاول تخليص نفسه من عنق إبراهيم، ليبحث هو بنفسه عن الإجابات التي لم يفصح عنها حامله، ولم يدر في باله أن حامله المرهَق يصارع الأمواج للحفاظ عليه.

لم تكن تساؤلات أنس مجرد تساؤلات عابرة لمن هو في مثل وضع إبراهيم.. لقد كانت كالنصال الحادّة التي تنهش في فؤاده وهو يصارع الموت، ويسير نحو المجهول.. كانت كالسياط المؤلمة التي تكاد تسلخ جلده وهو يشعر بمسؤوليته عمّا حدث.. كانت كالكابوس المرعب الذي يتمنى أن يستيقظ منه ليجد نفسه على مرفأ السلامة أو سرير الدّعة.. يا الله...!! ما أصعب ذلك الموقف! وما أقسى تلك اللحظات!

في هذه الأثناء، شعر إبراهيم أن أمامه مهمة تنوء بحملها الجبال الرواسي، ودارت في ذهنه العديد من التساؤلات المؤلمة.. هل من الممكن قطع هذه المسافات الطويلة والوصول إلى الشاطئ بسلام؟ أم أن الإعياء سيعتريه فيقصر عن الوصول إلى الهدف؟ هل هناك أحداث وأخطار أخرى تترصد طريقه؟ يا ترى ما هي هذه الأخطار؟ أهي أسماك القرش التي من الممكن أن تباغتهما أي وقت؟ أم هي الأمواج العاتية التي قد تبتلعهما في أي لحظة؟

يكف إبراهيم عن تهاويل أفكاره، ثم تعاوده مرة أخرى ، وتلقي عليه أسئلة ثقيلة عن مصير الشيخ.. يا ترى ماذا حدث له؟ هل يا ترى سنلتقي به مرة أخرى؟ أم ستكون تلك اللحظات البائسة آخر سطر في دفتر ذكرياته معه؟

obeikandl.com

# إصرار..

في غمرة تلك التساؤلات والأفكار المتلاحقة التي دارت في ذهنه، أدرك إبراهيم أن وضعه يتطلب التركيز على العمل، وطرد الوساوس وترك الأوهام، كما أيقن أن لا منجى إلا بالاتكال على الله -عز وجل- وحده، والتركيز على العمل الجاد، وأن الخروج من هذه المعاناة يتطلب السباحة حتى يتحقق الهدف وهو الوصول إلى اليابسة في أسرع وقت ممكن، وعند ذلك يتم تبليغ الجهات المختصة للبحث عن الشيخ محمد إن كتب الله له السلامة.

ابتدأ إبراهيم بتحديد أقرب المسارات إلى الشاطئ، فالبحر الداجي يمتد خلفه في مداه السحيق... وهناك الشاطئ المضيء تلوح له فيه من بعد سحيق مجموعة من العقود المتلألئة لأنوار الطريق الساحلي لشاطئ نصف القمر، ورأى أمامه أيضاً مَعلماً ممتدا في

obeikandl.com

رأسه إنارة لم يستطع تحديد معالمه، ولكنه تأكد أنه أقرب نقطة من الشاطئ إلى موقعه.

عزم إبراهيم على التوجه مباشرة إلى ناحية المعلم، معتمداً على الله ثم على مهاراته في السباحة الطويلة، وأدرك أنه ربما كان من الخيرة مفارقته الشيخ ليعتمد على نفسه، ويباشر العمل في هذا الاتجاه، ومن ثم يسارع في إنقاذه مع فرق الإنقاذ.. قال تعالى: ﴿ **أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [ **النمل** : ٦٣ ] .

على بركة الله.. نشط إبراهيم في السباحة الطويلة الشاقة نحو الشاطئ، وإن كانت قد تسببت في إرهاق الطفل الصغير وامتعاضه؛ حيث كان يعبر عن معاناته من القلق والخوف والوحشة بالبكاء أحياناً وبالإغفاء أحياناً أخرى.. ومع كل هذا لم يكف عن إعادة طرح تساؤلاته التي لم يجد لها جواباً بعد.

واصل إبراهيم السباحة الجادّة، وهو يدعو الله -عز وجلّ- أن يمنّ عليه وعلى من معه بالسلامة، ويكرر بين وقت وآخر دعاء يونس عليه السلام، ودموعه تنخرط في عباب البحر الثائر.. قائلاً: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين.. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين.

وفجأة يصرخ أنس ويصيح.. سأله إبراهيم ما بك؟ قال: سقط حذائي.. أريدُ حذائي، فقال له إبراهيم: يا أنس نحن في مأساة، فادعُ الله أن ينجينا مما نحن فيه من كرب.. لم يصغِ إليه الطفل، وألح

في طلب حذائه.. حاول إبراهيم أن يقنعه أن ما يسقط في البحر يصعب انتشاله.. لم يأبه الطفل بفلسفات إبراهيم.. كل ما يريده هو الحذاء، وإلا فسيستمر في البكاء.. تهديد قاس لم يملك معه إبراهيم إلا أن يعده بشراء حذاء جديد فور بلوغهما الشاطئ.. ظل الطفل يبكي، فانفعل إبراهيم، ومد يده إلى الحذاء الآخر، وخلعه من قدم أنس، وألحقه بأخيه الغارق.. العجيب أن أنساً كف عن البكاء.. و تساءل إبراهيم بعدها، هل كان سكوت أنس اقتناعاً أم قبولاً بالأمر الواقع ...؟ .. أو ربما علم أن إبراهيم سيفي بوعده، ويشتري له حذاء أجمل من السابق، وكأنه برهن له على صدقه حينما رمى الحذاء المتبقي استعداداً لحذاء جديد.

obeikandl.com

# الصلاة..

أدرك إبراهيم أن وقت صلاة العشاء قد حان منذ وقت طويل، وكان لزاماً عليه أن يصلي، وكيف له أن يتأخر عن أداء الصلاة، التي لا يجوز للمسلم تركها حتى في أحلك الظروف، بل ما أحوجه للصلة مع ربه في هذه الشدة التي أظهرت له شدة حاجة الخلق إلى خالقهم سبحانه.

أيقن إبراهيم أنه رغم قسوة الشدائد وحالات البلاء، إلا أن لها أثراً كبيراً في إيقاظ القلوب الغافلة، وتزكية النفوس من أدران المعصية، وإيقاظهم من سبات الغفلة.. تماماً مثلما تزكي النار الذهب من العوالق الرديئة.. إنها لحظات نفيسة تتبدّى فيها الدنيا على حقيقتها الزائفة، وقد سقطت الأقنعة عن وجهها الحقيقي، فخرجت عارية من مساحيقها المضلِّلة.. إنها لحظات نفيسة لمن يريد أن

obeikandl.com

يتذكر.. تبيّن للإنسان كم كان لاهياً ومعرضاً عن ذكر الله، وكم كان مفرطاً في جنب الله، وكم كان يعمل للدنيا كأنه مخلد فيها، وكم كان يغفل عن الآخرة وهي دار الخلود والنعيم المقيم.

نوى إبراهيم الوضوء ، ومسح ما استطاع أن يمسح من مواضع الوضوء، ثم رفع الأذان رغم علمه أنه نقطة ضائعة في هذا المدى المظلم، ولكنه يعلم أن الله يسمعه، وأن أجر المؤذن يبلغ ما بلغ أذانُه.. أقام صلاة العشاء وصلى في وقت متأخر، ولكنها كانت أخشع صلاة صلاها في حياته.. إنها صلاة الخائف الذليل.. صلاة الضعيف وسط الشدائد.. صلاة المضطر المكروب.. صلاة الغريب المستوحش.. صلاة المودّع الخائف من غيابه عن هذه الدنيا الفانية الرخيصة، وبعد الصلاة شعر إبراهيم بمزيد من السكينة والطمأنينة، ووجد في داخل نفسه أنه أكثر قوة وثباتاً ورباطة جأش، ثم استرجع قول القائل:

إلهي وأنتَ المُغيثُ المُعين ... وما لي بغيرِكَ مِن مَطْمَعِ
إليكَ أَمُدُّ حِبالَ الرجاء ... وأَعنو إلى بابِكَ المُشْرَعِ
فكنْ لي إلهي ملاذي الحَصِين ... وفي نائباتِ الأَسَى كُنْ مَعي
وبَرِّحْ عن القلْبِ هذا القتام ... وأَرْسِلْ سَنَاكَ إلى مَطْلَعي

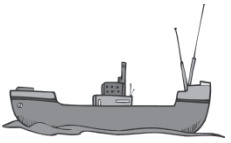

# نجوى..

بعد أداء الصلاة استأنف إبراهيم سباحته الشاقة والطفل ينام على كتفه الأيمن تارة، وعلى كتفه الأيسر تارة أخرى، وخلال سيره الحثيث كان يدور في ذهنه شريط حياته الماضية، وتذكر كم ارتكب فيها من ذنوب، وغفلات ولهو، وإعراض وصدّ.

لقد أدرك في ذلك الموقف الخطأ الفادح في موازين اهتمامات البشر، وفي خطأ نظراتهم لواجباتهم في الدنيا وتجاه أعمال الآخرة، وعجب حينها من شدة إقبال الناس على هذه الحياة الدنيا، وارتهانهم لجاذبيتها ومتاعها الزائل، فبها يفكرون، وفيها يوالون ويعادون، ولها يبنون ويخططون.. معرضين عن الآخرة بحقائقها العظيمة ومنازلها الأبديّة الخالدة، فلماذا لا نتساءل كم هو وزن هذه الدنيا في الآخرة؟ ما مقدار مكثنا في كلٍ منهما؟ هل تفكر كل مسلم

obeikandl.com

في ميزان الله البيّن لهما، قال تعالى: ﴿ **وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً** ﴾ [ **الإسراء**: ٢١ ] .

وتطوف بمخيلة إبراهيم مرة أخرى بعض الأحداث في مراحل حياته المختلفة، فيدرك أنه لولا حفظ الله له لما عاش ما مضى من عمره، وأن من حفظه في سابق أمره هو القادر على إخراجه من شدته ومحنته.. كان من أبرز الحوادث التي جالت في فكره، قصة تعلّقه وهو صغير على أحد الأسياخ الحديديّة لسور سطح منزل أسرته المُشرف على الشارع وعلى ارتفاع شاهق؛ حيث بقي معلّقا بطرف ثوبه موشكاً على السقوط لفترة من الزمن حتى تم إنقاذه.. إنها أسهم القضاء التي يقدرها الله فقد تخطئ الشخص بأمر الله فيطول مكثه في هذه الحياة، حتى يأتيه الأجل المحتوم بقدر من الرب جل شأنه، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [ **النحل**: ٦١ ] .

عاد إبراهيم بعد ذلك لترديد مزيد من الأذكار والدعاء، ووجه وجهه وقلبه نحو الباري جل شأنه، لعله يفوز بالغوث والإنعتاق من الموقف الحالك الذي هو فيه، فقد جاء في القرآن ما يدل على أن صدق التوجه إلى الله في حالات الاضطرار وصدق اللجوء إليه حتى من الكفار المشركين أولي القلوب المتحجّرة مظنة الإجابة، وبخاصة حينما تذيب نار الكروب فتلين القلوب القاسية لربها وتعترف بربوبيته وترجو فرجه، لقد ناجى إبراهيم ربه الله بكل قلبه ومشاعره، ودعاه دعاء المضطر إلى رحمته الراجي لاستجابته، قال تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ**

الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [ النمل : ٦٢ ] ، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴾ [ الإسراء : ٦٧ ] .

obeikandl.com

# شوق..

بذل إبراهيم أقصى جهده في السباحة باتجاه المعلم الذي كان يراه من بعيد، ثم اكتشف بعد ساعتين من الجهد والتعب أنه لم يحقق أي تقدم، فالمسافة بين مكانه وبين ذلك المعلم تبدو له ثابتة كأنها لا تتغير، وهنا شعر أيضاً بأن الموج المعاكس –رغم ضعفه– كان يؤخر تقدمه نحو الهدف.

هنا أحس بالهمّ وضيق الحيلة، فبدأ يناجي ربه بصوت مرتفع، وعاد يخاطب نفسه متسائلا: هل ربي راضٍ عني أم غاضب؟

بعد ذلك بدقائق شعر بتجدّد عزيمته، وعاد للسباحة الجادة مرة أخرى.. أصبح ينظر إلى السماء فيرى النجوم على غير ما رآها، كان يحس وكأنها تشجعه بوميضها إلى المضي قدماً في السباحة، ويتخيلها تسليه بثباتها، فسبحان من سخرها.

obeikandl.com

نظر إبراهيم يميناً وشمالاً لعله يرى أحداً، وتساءل داخل نفسه: هل سيتحرك رجال حرس الحدود للبحث عنا؟ ومن ثم أجاب نفسه: إن ذلك مستحيل، إنه لم يسجل اسمه لديهم، وكذلك لم يركب البحر من بوابتهم!! وهكذا كانت النتيجة.

وكان يخيل إليه أحيانا رؤية بعض القوارب تمر أمام عينيه، ثم ما تلبث في ثوان معدود أن تضمحل كالسراب العابر والطيف الوامض، ليبقى في واقع يفيض بالخطر!

قرر إبراهيم بعد سلسلة من الأفكار والمشاعر المتتابعة أن يركز على العمل ويواصل السباحة مستصحباً الذكر والدعاء، وبدأ يقينه بالله يزداد قوة في إمكانية النجاة، وأحس أن الهدف قد اقترب قليلاً، وأنه بدأ يحرز تقدما، وهو ما أوقد في نفسه الشعور بالحماس، وانفتحت أمامه أبواب التفاؤل، ولاحت بوادر النجاة.

كانت أعضاء جسمه جميعها تتلهف وتتشوق لملامسة تراب اليابسة، ومن ثم الاستلقاء على أديمها في أمن وسلام، تماماً مثلما يرتمي الابن على صدر أمّه الحنون.. يهنأ برحمتها، ويتدثر بعطفها، ويستشعر دفء حنانها.

شعر إبراهيم لأول مرة بالأمل الواسع في النجاة، فردد قول الشاعر:

ولا تجزع إذا أعسرت يوماً ... فقد أيسرت في الزمن الطويلِ
ولا تظنن بربك ظن سوءٍ ... فإن الله أولى بالجميلِ

وإن العسر يتبعه يسارٌ وقول الله أصدق كل قيلِ
فلو أن العقول تسوق رزقاً لكان المال عند ذوي العقولِ

obeikandl.com

# سمك القرش..

وأثناء هذه اللحظات المستبشرة يستيقظ الطفل أنس -والوقت ربما يشير إلى بعد منتصف الليل- ليصرخ وهو يومئ للخلف في فزع ويصيح: سمكة.. سمكة.. سمكة..

توقف إبراهيم عن السباحة، وسأله: أي سمكة؟

فقال: هنا سمكة كبيرة يا عمو خلفك!

لقد هزت كلمات الطفل كيان إبراهيم، وعاد إليه الشعور من جديد بالخوف والرهبة وربما الهلع واليأس.. إن كان ما قاله الطفل حقّا، فهذا يعني وجود سمك القرش القاتل، وبذلك ستكون نهايته والطفل الصغير، وفي أقسى صورها، وأعنف أحداثها، فالقرش القاتل يسير حوله أو قاب قوسين أو أدنى منه، لقد كان خلال مراحل هذه الرحلة

obeikandl.com

يخشى أشياء كثيرة، أحدها وجود أو اقتراب سمك القرش الموجود في مياه الخليج بكثرة.

لم يكن من إبراهيم إلا أن همس في أذن الطفل أنس، وطلب منه السكوت، ومن ثم بدأت الوساوس تراوده مرة أخرى، وبدأ يفقد بعض قوته وعزيمته، ويشعر أن أمله في النجاة قد توارى، كل ذلك حدث بعد أن رأى تباشير الفرج الأولى تلوح في الأفق، وتتشوق إليها نفسه المتعبة.

لقد كان حينها ينتظر متى يشرع ذلك الشبح البحري الجامح في تمزيق أجسادهم الضعيفة دون هوادة، وكان يشعر بدنوّ أنيابه تلامس أقدامه.

أخذت تلاحقه خيالات مرعبة حتى بلغ به الخوف مبلغه، ولم يجد من حيلة إلا أن يلجأ إلى ربه الأعلى داعياً بصوت خافت مردداً الدعاء المأثور: "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"، كان يقول: إلهي لا أريد أن أموت هذه الميتة.. لا أريد أن يتمزق جسمي بأنياب أسماك القرش، ثم أخذته نوبة من البكاء، وهو يردد: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، وراح يناجي ربه بهذه الأبيات:

obeikandl.com

يـا مـن تحـل بذكـره عقـد النوائب والشـدائدْ
يـا مـن إليـه المشـتكى وإليـه أمـر الخلـق عائدْ
يـا حـي يـا قيـوم يـا صمـداً تنـزه عـن مضادْ
أنـت الرقيـب علـى العبا د وأنـت في الملكـوت واحدْ
أنـت المعـز لمـن أطاعـ ـك والمـذل لـكل جاحـد
إنـي دعوتـك والهمـو م جيوشـها نحـوي تطاردْ
فافـرج بحولـك كربتـي يا مـن لـه حسـن العوائدْ
فخفـي لطفـك يسـتعا ن بـه علـى الزمـن المعاندْ
أنـت الميسـر والمسـبـ ـب والمسـهل والمسـاعدْ
يسـر لنـا فرجـاً قريـ ـباً يـا إلهـي لا تباعـدْ
كـن راحمـي فلقد يئسـ ـت مـن الأقـارب والأباعدْ

مرت أكثر من عشر دقائق وإبراهيم في سكون وهدوء.. لا يكاد يتحرك ولا يتحدّث مع الطفل؛ لئلا يحس به سمك القرش الفاتك، ولكن بعد تردد قرر أن يواصل مسيرته نحو الشاطئ، وأنه ليس له إلا ما كتبه الله، وإن كانت قواه قد خارت، وعزيمته قد فترت، وحماسه قد ضعُف.

أثناء سباحته المتوجّسة يصيح أنس بإبراهيم مرة أخرى، فيقول: السمكة السمكة!، وهنا توقف فوراً وسأل الطفل: أين هي؟ فقال: هنا يا عمو عند أقدامك!.. هنا عاد الخوف إلى نفس إبراهيم، وتملكه الفزع مرة أخرى، فتوقف عن السباحة وشرع يردد الأدعية المأثورة، وما هي إلا دقائق حتى بدأت السكينة تسري في داخل إبراهيم، وهو يتأمّل، وبدأ يعود إلى رشده، ويقول لنفسه: لو كانت سمكة قرش لما منحتنا كل هذه الفرص!

obeikandl.com

عاد إلى السباحة من جديد، ولكن ما لبث أن صرخ الطفل أنس مرددا وهو يبكي: السمكة السمكة، وبعد تفكير عميق أدرك أن الأمر ربما يكون متعلقاً بسباحته، وللتأكد من صحة استنتاجه هذا، توقف عن السباحة، ثم سأل الطفل: هل ترى السمكة؟ فأجاب أنس: لا لا عمو، ثم بدأ بالسباحة بشكل هادئ، فصرخ الطفل مرة أخرى: السمكة السمكة! عندئذٍ أدرك إبراهيم بشكل قاطع أن أنس كان يرى قدميه وهما تتحركان أثناء السباحة، فظنهما زعانف سمكة القرش التي توشك أن تلتقمهما.

بعد هذه المعاناة الطويلة التي سببتها أوهام ومخاوف لا أساس لها، ضحك إبراهيم ضحكة مكظومة لم يلجمها سوى مياه البحر، وما كان يحس به من النصب الشديد، وعندما عادت السكينة إلى إبراهيم من جديد واصل السباحة في نشاط وقوّة وإصرار، واستعصم بالله تعالى، واجتهد في المناجاة.

ومع مرور كل هذه الساعات الطويلة من الليل تأكد إبراهيم بأنه قد أحرز تقدماً جيداً في الاقتراب من ذلك المعلم الساحلي رغم ما ناله من الإرهاق والجوع والعطش الشديد، ولكنه لم يكن يفكر بالاستسلام ما دام قادراً على الحركة، وما دام له عين ترى وقلبٌ يخفق.. كان يفكر بهذا بينه وبين نفسه، وهو يقوي عزيمته بترديد قول الشاعر:

يامن يرى مافي الضمير ويسمعُ ... أنت المُعَدُّ لكل ما يُتوقعُ
يا من يُرَجَّى للشدائدِ كلِّها ... يا من إليه المشتكى والمفزَعُ

يا من خزائنُ رزقِهِ في قولِ كن ... أُمننْ فإن الخير عندك أجمعُ
مالي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقري أدفعُ
مالي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددتَ فـأي باب أقرعُ؟
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنعُ؟
حاشا لجودك أن تُقَنِّطَ عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب أوسعُ

obeikandl.com

# الفجر..

شعر إبراهيم أن رفيقه أنس الصغير لا يتحرك! ولا يدري هل دخل في نوم عميق؟ أم حدث له شيء لا سمح الله؟ وفي تلك اللحظة التي لا يزال يصارع فيها الأمواج انكشف ستار الليل، وبدأت أنوار الفجر الأول تتضح شيئاً فشيئا.. كان يتسلل إلى سمعه صوت الأذان لصلاة الفجر من يوم الجمعة "الله أكبر" "الله أكبر" "أشهد أن لا إله إلا الله".. كلمات هزّت كيانه، وحركت أشجانه، فكأنها تمد يديها إليه لتنتشله من وحشة الوحدة، ولجة المياه الزرقاء وتنقله إلى ضفة اليابسة، ونعمة الحياة.. كلمات جعلته يستهين بهيبة البحر وسعته، ويستصغرها أمام كبرياء الخالق وسطوته، فالله أكبر من كل جبروت، والله أكبر من كل قوّة، والله أكبر من كل مخلوق، ورحمة الله أكبر من كل شدة، هذه الكلمات الإيمانية اهتز لها صدره، وسالت منها دموعه،

obeikandl.com

وخرجت على إثرها من داخله تسبيحة عميقة هزمت أنقاض الهمّ والغم والحزن.

لقد بدأت معالم الشاطئ تتمثّل لإبراهيم، وبدأ يرى بوضوح معها بوادر النجاح في تحقيق أمله الذي عمل من أجله طوال ليل أمس.. حقاً إنها فرحة لا تعادلها فرحة، وفرج لا يماثله فرج.. إنها نجاة له ولرفيقه الصغير أنس من الهلاك، وفي فجر مشرق بالأنوار وفي يوم جمعة مبارك، وعندما تأكد من حلول وقت الفجر توضأ حسب قدرته، ثم أقام لصلاته الثالثة فوق أمواج البحر.

ورغم فرحته بظهور بوادر النجاة.. إلا أن فكره كان معلقاً بمعرفة حال رفيقه الشيخ محمد، وظل يتساءل: كيف أمضى الشيخ ليلته؟ هل هو في عُمق البحر؟ أهو حيٌّ تُرجى سلامته؟ أم سار إلى مصير يستوجب له منا الدعاء والرحمة؟!

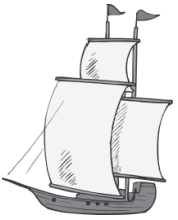

obeikandi.com

# الفرج..

مع بزوغ أشعة الشمس الذهبية اقترب إبراهيم ورفيقه الصغير من الشاطئ، وأيقن أن الله بفضله وكرمه قد كتب لهما عمراً جديدا، وأن المحنة قد انتهت، وأن الشعور بالخوف والفزع من غوائل البحر أصبح من ذكريات الماضي.. أول ما بادر إليه إبراهيم هو الابتهال بالشكر والثناء إلى الله الكريم الرحيم الذي منّ عليهما بهذه النعمة العظيمة، فأخذ يردد بصوت عال: الله أكبر، الله أكبر، لك الحمد يا إلهي، لك الشكر يا ربي، لك الثناء، لك الفضل من قبلُ ومن بعد.

أخذ السباح الماهر والطفل فوق ظهره يقترب رويداً رويداً من شاطئ الأمان، وشعر لأول مرة بأصابع قدميه تلامس قاع البحر، ثم واصل السباحة لدقائق.. مد يديه المتعبتين ليلامس قاع الأرض في المياه الضحلة.

obeikandl.com

كانت فرحة إبراهيم بالنجاة أعظم فرحة، فقد فرج الله كربته، وكتب السلامة له وللصغير الذي كان لا يدرك حقيقة ما حوله من الأحداث.. حاول التعبير عن شعوره في تلك اللحظات، ولكنها فرحة تعجز أمامها الكلمات، وتتضاءل أمامها الأوصاف، فرحة عظيمة لم تنغصها إلا ذكرى رفيقه الذي خلّفه وراءه لا يعرف مصيره.

عندما حط إبراهيم قدميه على قاع الشاطئ حاول أن يقف بهما، فخانتاه قدماه، ولم يستطع الوقوف، فأكمل المشي على رمال الشاطئ زحفا على يديه وركبتيه، والصغير أنس لا يزال مستلقياً على ظهره.

بعد ذلك ألقى بجسده المُنهك مستلقياً على رمال الشاطئ؛ ليأخذ ما يستطيع من الراحة، ولكم أن تتخيلوا حجم التعب الذي لقيه بعد سباحة طويلة امتدت لساعات طويلة.

لقد امتدت معاناته من منتصف عصر يوم الخميس وحتى وقت شروق الشمس من يوم الجمعة، ولكن الرغبة في الحياة أعظم من الشعور بالتعب، وبعدما لامست رجلاه اليابسة آن له أن يعبر عن حجم ما أصابه من المعاناة.. كانت الليلة الماضية أطول ليلة في حياته، فقد اجتمع عليه فيها رباعي المعاناة: التعب البدني، والإرهاق النفسي، والفزع، والعطش.

obeikandl.com

# على الشاطئ..

بعد وصوله إلى البر تبيّن لإبراهيم بأن ذلك المعلم الذي توجه إليه وجعله هدفاً طوال ليل أمس، ما هو إلا برج حديدي في سكن لعمال إحدى الشركات التي يقع مقرها على الطريق الذي يربط بين شاطئ نصف القمر وشاطئ العقير (ميناء الأحساء القديم)، والشاطئ الذي وصل إليه لم يكن غير شاطئ مهجور في منطقة نائية بعيدة عن الأنظار وعن مقر مركز حرس الحدود.

وصادف أن الوقت الذي وصل فيه إلى ذلك الشاطئ النائي هو صباح يوم الجمعة، وهو وقت تقلُّ فيه حركة الناس، وهنا أدرك أن المعاناة لم تنته بعد، وأنه لا بد أن يقضي وقتاً للراحة يستجمع فيه بعض قواه، أو أن تبدأ حركة الناس ليزيد احتمال وصول من يسعفه.

obeikandl.com

ولكن الفرج أحياناً يأتي من حالات الضيق، والغوث يصل في غير أوقاته، فما هي إلا لحظات فإذا بإبراهيم يسمع صوت سيارة مسرعة قادمة نحوه، نزل منها سائقها وهو ينظر إليه وإلى الطفل أنس باستغراب ودهشة متسائلا: ما الذي جاء بكما إلى هذا المكان؟ فأجابه إبراهيم: لقد كنا في رحلة بحرية منذ عصر أمس الخميس وغرق المركب، وكنا أيضا على وشك الغرق، فبكى الرجل من شدة تأثره من وضعنا ورأفته بحالنا، وردد كلمات كثيرة فيها الحمد والشكر لله على نجاتنا.

كان الرجل مندهشاً من حال إبراهيم ورفيقه الصغير، وقال بعد برهة: صدقني كنت أظن بأنكما من دواب البحر، ولم أكن أتوقعكما من البشر، وتأكد لدي ذلك عندما رأيتكما من بعيد تزحفان على الأيدي والأرجل وتخرجان من البحر نحو الشاطئ.

لقد أرسل الله هذا الرجل الشهم الكريم إلى إبراهيم ورفيقه؛ لإنقاذهما وإنهاء معاناتهما، وكانا أحوج ما يكونان إلى شربة ماء تسدُّ الرمق، أو لقمة تدفع الجوع، أو يد حانية تسندهما، بعد أن أخذ منهما العناء والظمأ والجوع كل مأخذ.

قال الرجل بأنه يأتي إلى هذا المكان كل أسبوع مرة أو مرتين، وهو يمارس هواية الصيد باستخدام الأقفاص وهي ما يُسمى عند أهل المنطقة الشرقية بـ(القراقير)، وهي عبارة عن شبك مصنوع من الأسلاك الحديدية، وله فتحة على شكلٍ حلزوني؛ حيث يضع الصياد فيه طعاما ليكون طُعما للأسماك، ومن ثم يأتي في وقت لاحق ليجد في القرقور ما تيسر من الصيد فيأخذه.

لم تمضِ سوى دقائق قليلة حتى قام هذا الرجل الهمام بحمل أنس الصغير، فوضعه على مقعد السيارة، ثم جاء إلى إبراهيم ليساعده في الركوب، ولكن محاولاته لم تفلح إلا بعد جهد مضاعف، بسبب عدم قدرة إبراهيم على النهوض.

obeikandl.com

# إسعاف..

نقل السائق المنقذ كلاً من إبراهيم والطفل الصغير إلى مركز حرس الحدود بعد أن سار بهما مسافة طويلة، وعند الوصول إلى المركز كان العاملون فيه في استعراض عسكري خلال حصتهم الصباحيّة.

استأذن الرجل من بوابة المركز؛ حيث تم إدخالهما إلى غرفة الإسعاف، وتم إحضار بعض الماء، فلا تسأل عن مذاقه لديهما بعد طول العناء.. قام العاملون في الإسعاف بتغسيلهما، ثم وضعوا في يدي إبراهيم والطفل مغذياً لمدة قصيرة.. بعدها شعر إبراهيم والطفل ببعض النشاط، واستعادا بعضاً من قوتهما، وأصبحا قادرين على المشي ببطء.

obeikandl.com

بعد دقائق حضر قائد المركز مسرعاً ومعه بعض الجنود، وكان رجلاً طيباً، وعلى قدر كبير من الخلق، وحين أخبره إبراهيم بالقصة تفاعل معها بشكل كبير.. عند ذلك طلب إبراهيم منه أن يفعل ما في وسعه لإنقاذ صاحبه الشيخ محمد عاجلا.

استجاب قائد المركز، وأصدر أمراً على الفور لجميع الدوريات البحرية وما حولها من الدوريات الموجودة داخل البحر بالتحرك للبحث عن الشيخ، وأمر القائد أيضاً جميع دوريات حرس الحدود أن تتفرق إلى عدة مجموعات تنطلق في أكثر من موقع نظراً لعدم إمكانية تحديد موقع غرق القارب.

ومن شدة ما كان يشعر به إبراهيم نحو الشيخ ويحس به من مسؤولية عن مصيره، اقترح على قائد سلاح الحدود أن يشارك في عملية البحث، غير أن القائد رفض طلبه، وأشار عليه بالبقاء، وربما كان ذلك بسبب سوء حالته، كما أن إبراهيم آثر تبعاً لذلك البقاء إلى جانب الصغير أنس.

رأى القائد على وجه إبراهيم آثار الكارثة التي حلت به وبمرافقيه، وشعوره بالخوف والقلق على مصير الشيخ أبي أنس، فأخذ القائد يسليه، ويحاول أن يخفف عنه آثار المعاناة ، ويطمئنه على مصير الشيخ، خاصة بعد أن علم عن اسمه وشخصيته، ولكن إبراهيم من جانب آخر لم يخف عليه القلق في وجه القائد على مصير الشيخ، وشعوره بضعف فرص نجاته، خاصة عندما علم أنه لا يجيد السباحة، بل كان يرى استحالة صموده كل هذا الوقت الطويل.

obeikandl.com

ومن أعجب ما حكاه القائد لإبراهيم أنه قبل أن يستيقظ لصلاة الفجر صباح اليوم نفسه، سمع في المنام منادياً يقول له: قم، فهناك بعض الغرقى في البحر.. اذهب وتول أمرهم، وأردف القائد قائلاً: لقد نهضتُ مفزوعاً من هذا الحلم مع أذان الفجر، وقلت لعله من وساوس الشيطان!

obeikandl.com

# البحث..

واصل القائد متابعة جهود فرق البحث والتحري واتصالاتهم مع الفرق المتحركة في البحر، وبعد ساعات من البحث بدأ اليأسُ يدب إلى رجال حرس الحدود، وكانوا يجمعون على عدم وجود أي أثر يدل على مصير الشيخ محمد.

أوصى القائد رجال الفرق المتحركة باستدعاء فرقة الضفادع البشرية للغوص والبحث عن جثة الشيخ محمد، ولكنّ إبراهيم أفاده بأن صاحبه كان متعلقاً بجالون وسترة نجاة، فإذا جزم الجميع أنه قد غرق، فأين هي السترة والجالون اللذان كان الشيخ يمسك بهما؟ فكان رد القائد مباشرة: صدقت يا إبراهيم، هذه علامة مؤكدة.. هذه علامة مؤكدة.

obeikandl.com

تحدث القائد إلى جميع الدوريات البحرية بالجهاز اللاسلكي بألا يعودوا إلى المركز إلاّ ومعهم الشيخ محمد حياً أو ميتا، أو إحضار الجالون والسترة اللذين كان يمسك بهما.

وفي غمرة البحث عن الشيخ محمد، اقترح إبراهيم على الطفل أنس –من باب المداعبة والتسلية له– أن يذهبا ليبحثا عن والده في البحر، ولكن الطفل بكى خوفا من هذا، ولا يلام في ذلك فقد عانى من البحر ما عانى، وهو ما يصدقه قول الشاعر ابن الرومي في وصف البحر:

وأما بـــلاء البحـــر عندي فإنه ... طواني على روع مع الروح واقبِ
فأيسر إشفاقي من المـاء أنني ... أمر بـــه في الكوز مر المجانبِ
وأخشى الردى منه على كل شارب ... فكيف بأمنيه على كـل راكبِ؟

obeikandl.com

# البشارة ..

تواصل البحث خلال ساعات ضحى يوم الجمعة عن الشيخ محمد بجهود مشكورة من رجال حرس الحدود السعودي وقائدهم الفذ.. كان الجميع يتحرى نتيجة هذه الجهود الخيرة، ويترقب بخوف وأمل مضمون الاتصالات التي تأتي من فرق الدوريات المتحركة.

وبعد بحث وجهد كبيرين من قبل رجال الدوريات البحرية، جاءت البشارة عن طريق الجهاز اللاسلكي أنه قد تم العثور على الشيخ محمد حياً وسليماً بحمد الله وفضله.. لقد عثروا عليه وهو ممسك بطوق النجاة وبالجالون الذي كان يحملهما.

وأفاد بعض من قاموا بإنقاذ الشيخ أنهم عندما رأوه ظنوه ميتاً، لأنه لم يكن يتحرك، وأنه كان على نفس الوضع الذي فارق عليه إبراهيم يوم أمس.. نائم على ظهره، وممسك بطوق النجاة بيد، وبالجالون باليد الأخرى.

obeikandi.com

كان هذا الخبر السعيد أجمل خبر تلقاه إبراهيم في حياته، وهنا تذكر على الفور قول الخالق جل شأنه: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنّ أَن لّن نّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاّ إِلَهَ إِلاّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾. (الأنبياء ٨٧-٨٨).

نعم إنه يوجد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من سينجيه الله بصورة عجيبة مثل نجاة نبيه يونس عليه السلام، وها هو الشيخ محمد الذي نجا بقدرة الله وهو لا يجيد السباحة إطلاقا، وربما كان صدق توكله على ربه جل شأنه، وتوسله إليه هو السبب الوحيد في نجاته وسلامته.

obeikandl.com

# اللقاء..

بعد مضي وقت أحضر المنقذون الشيخ محمد إلى مقر مركز سلاح الحدود، وكان قائد المركز وإبراهيم وبعض الموجودين في استقبال الشيخ الجليل على المرسى، كان أول ما سأل عنه الشيخ عند نزوله إلى أرض الشاطئ عن اتجاه القبلة، وعندما أخبر بذلك خر ساجداً لله وشاكراً لفضله، وكان إبراهيم قد غفل عن سجود الشكر ولم يخطر على باله أبدا، وعندما رأى صاحبه الشيخ ساجداً لله، خر معه ساجداً حامداً الله سبحانه وتعالى على فضله وكرمه ولطفه بهم.

بعد الفراغ من سجود الشكر عانق إبراهيم شيخه الجليل، كما عانق الشيخ جميع الحاضرين، ثم التفت الشيخ إلى فلذة كبده أنس فقبله وعانقه طويلا.

obeikandl.com

الله أكبر، ما أروع مشهد اللقاء المفعم بالحب بعد الفراق القسري المرّ، وما أجمل لحظات السلامة بعد ساعات المعاناة، وما أطيب الصحة والراحة بعد النصب والتعب، وما أطعم الشبع بعد الجوع، والري بعد العطش.

إن من أعظم اللحظات المؤثرة شدة فرحة الشيخ لحظة احتضانه ابنه الصغير، وفرحة الطفل البريء عندما لقي أباه بعد فراق كاد يكون أبدياً لولا لطف الله.

وما أقرّ عيني إبراهيم حين جمع الله بين الأب والابن بعد أن كادت رحلتهما المخيفة تكون سبباً في فراقهما، وأن تحدث كارثة كبيرة لهذه العائلة الكريمة، فلله الحمد والشكر عدد ما تعاقب الليل والنهار.. لقد صدق الشاعر إذ قال:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنانِ كل الظـــن ألاّ تلاقيا
إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل ... بخير وجَلَّتْ غُمةً عن فؤاديا

# العودة..

بعد وداع قائد مركز الحدود ورجاله البواسل وشكرهم قامت دورية من الحرس بنقل الشيخ محمد وابنه وإبراهيم إلى سيارة إبراهيم الواقفة في مدينة الملك فهد الساحلية على الشاطئ الآخر.

حين ركب الجميع السيارة كان الحديث بين الشيخ وإبراهيم ذا شجون، وتعجّب الاثنان مما حصل من الأحداث المريرة في هذه الرحلة الشاقة، وامتد الحديث بينهما حتى وصلوا إلى مدينة الخبر؛ حيث قام إبراهيم بإيصال صاحبه وابنه أنس إلى منزلهم.

كان حضور الشيخ محمد مفاجأة لأقاربه وأصدقائه وجماعة مسجده الذين قضوا ليلتهم بحثا عنهُ في كل مكان، ولكنهم لم يعثروا له على أثر، أما إبراهيم فلم يفقده أحد، فقد كان حينها أعزبَ، كما كان من طبعه الغياب في رحلات بحرية أو برية عن بيت الأسرة بالأيام.

obeikandl.com

وصل إبراهيم إلى المنزل مع وقت خروج والده حفظه الله إلى صلاة الجمعة، رأى الوالد ابنه أثناء خروجه من المنزل وهو بلباس البحر.. بادر إبراهيم والده بالسلام، فانتهره والده بشدة متسائلا: كيف تكون في مثل هذا الوقت قادماً من البحر؟ وكيف ترتدي الملابس الرياضية في هذا الوقت؟ وكيف تدخل إلى المنزل والناس ذاهبون إلى أداء صلاة الجمعة؟ فأراد إبراهيم أن يرضي والده ويخفف من حدة غضبه عليه، وبدأ يشرح له بعض ما حدث له باختصار، ولكن الوالد قطع عليه حديثه، ولم يترك له فرصة للاعتذار.. ذهب إبراهيم عاجلاً إلى الجامع وصلى مع المسلمين صلاة الجمعة، ثم دخل بعد الصلاة في نوم عميق؛ ليعوض ما لقيه خلال يوم وليلة من السهر والخوف والتعب والمعاناة.

obeikandl.com

# حذروقدر..

يفكر الإنسان المسلم كثيراً في مسألة الأخذ بالأسباب وأثرها في تلافي وقوع الأحداث المريرة، كما يتذكر مسالة القضاء والقدر، وتفسيراتها حسب أصول العقيدة الإسلامية، وتتردد في ذهنه العبارة الشهيرة: "إن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه".

والحقيقة أن الأسباب لا تفعلُ شيئا بذاتها وإن اجتمعت، وإنما يتحقق نفعها وأثرها بعد إرادة الله الحيّ القيّوم ومشيئته في حصول الأشياء، ولذلك لا يُغني حذرٌ من قدر، فالأخذ بالأسباب والتوكل على رب العباد هما ركنان لازمان للحصول على جميع ما يريده الإنسان، ومنها مسألة النجاة في حالة الشدائد والمحن بإذن الله.

obeikandl.com

فكم من سبّاح خبير غرق في شبر ماء، وكم من رحّال مجرّب تاه في الصحراء، ومات ظمأً.

يُحكى أن صياداً ماهراً يجيد السباحة توغل في إحدى الليالي بقاربه داخل البحر من أجل الصيد، وابتعد كعادته عن الشاطئ، ولأنه كان لا يغيب عن بيته أكثر من يوم وليلة، فقد افتقده أهله بعد أن غاب عنهم ثلاثة أيام بلياليهن، وعندما قاموا بإبلاغ مركز حرس الحدود.. اجتهد رجاله في البحث عنه لكنهم لم يعثروا عليه إلا بعد أسبوع من فقدانه، فقد استدلوا على مكانه بقاربه الذي وجدوه على وضعه الطبيعي مثبتاً بمرسى داخل البحر، ولكنهم لم يعثروا على الرجل إلا بعد بحث مضن، حين ذلك وجدوه ميتاً في ظرف غامض لم يُعرف سببه بعد، فلم يكن القارب منقلباً ولا متعطلاً، ولم يكن في جسده ما يدل على سبب وفاته.

كما غرق أحد السباحين المهرة في مسبح إحدى جامعاتنا بسبب شدّ عضلي في فخذه أعجزه عن الحركة؛ حيث وجدت جثته طافية على سطح الماء، فسبحان الله مسبب الأسباب ومقدّر الأقدار الفعال لما يريد الذي لا يرد قدره أحد.

وتذكر إبراهيم إحدى مغامراته البحرية في الماضي عندما ذهب في ليلة بالقارب منفرداً، ودخل في عمق البحر من أجل الصيد والاسترخاء، لم تكن المسافة التي قطعها بعيدة عن الشاطئ، فحصل أن نفد وقود المحرك، ولم يكن لديه وقتها أجهزة لاسلكية تربطه برجال حرس الحدود لطلب الإسعاف، فاضطر حينذاك أن يرمي

المرسى في البحر، وبدأ السباحة سريعاً نحو الشاطئ، وعندما قطع من الوقت ثلث ساعة سباحة تذكر وجود جالون من الوقود في أحد صناديق القارب.. كان متيقناً من وجود الجالون، ولكنه لم يكن متأكداً من وجود الوقود فيه، وهذا مما جعله يتردد كثيراً.. هل يعود إلى القارب للتأكد من وجود الوقود؟ أم يستمر في السباحة نحو الشاطئ؟ وبعد تردد رأى أن العودة إلى القارب أولى، فالمسافة إليه أقرب بكثير من المسافة إلى الشاطئ، وعندما عاد إلى القارب وفتح الصندوق فإذا بالجالون مليء بالوقود، وهنا حمد لله، وشعر بفرحة غامرة وابتهاج لا حدود له.

وقد يستغرب القارئ لماذا لم يتأكد قبل الانطلاق من وجود الوقود وقبل أن يبدأ السباحة إلى الشاطئ؟ ولماذا لم يتفقد الجالون في أقل الأحوال بعد نفاد وقود القارب؟ والجواب أن إبراهيم لم يكن من قام بملء الجالون بالوقود بل كان ذلك من قبل أحد الزملاء في رحلة سابقة، وإن كان ذلك بالتأكيد من أبواب الإهمال وسوء التنظيم الذي يغلف سلوك بعض الشباب، ويعانون منه في كثير من جوانب حياتهم.

وفي كل الأحوال فقد تكون وسائل النجاة قريبة وفي متناول اليد، ولكن لا نصل إليها لأسباب عديدة قد تكون ظاهرة أو خفية، ولهذا فإن الأسباب الماديّة تفتقر لتأثيرها إلا إذا أراد الله سبحانه وتعالى لها أن تعمل، وما يجب على الإنسان هو الالتزام بالانضباط والتنظيم، وتفقد كل شيء في القارب، وتوفير كل ما يمكن الاحتياج إليه، قبل الانطلاق في أي رحلة.

obeikandl.com

وفي هذا السياق نتذكر نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسافر الشخص وحده؛ لأنه لا يعلم ما الذي سيحدث له، ومن ذلك الظروف الطارئة، مثل: المرض، أو التعب، أو الضياع، أو الخوف، أو توقف الراحلة وفقدانها، وثبت في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب.

وأخيراً فإن أعظم رفيق في السفر هو الذكر والدعاء، وهي عبادة رفيع شأنها، خفيف حملها، عظيم فضلها، كبير أثرها، بها تطمئن القلوب، وبها تُطرد الشياطين، وتحضر الملائكة.

obeikandl.com

# محاسبة..

تميل النفس الإنسانية غالباً إلى تبرئة الذات، وتجد الراحة في تحميل الآخرين جميع الأخطاء والزلات، وإن لم يجد الشخصُ أحداً يلقي عليه وزر أخطائه، قام بوضعها ضمن مسائل القضاء والقدر.

لم يكن إبراهيم كذلك، فقد كان في خضم أحداث الرحلة الصعبة يلوم نفسه عن كل ما حدث، ويحملها مسئولية سلامة من معه، وبعد نهاية أحداث الرحلة وآلامها لم يكن يبحث عن تبرئة نفسه بقدر ما كان يعتذر للشيخ ويطلب منه المسامحة والإباحة، ولكن الشيخ بإيمانه العميق وعلمه الغزير وحكمته الراسخة يرد عليه بأنه لم يجد منه تقصيراً، وأن ركوب البحر حافل بقصص ومآس كثيرة، وهذا هو سر خوف الناس من البحر، وتخصص المغامرين في ركوبه والغوص في أعماقه.

obeikandl.com

امتدت راحة إبراهيم الجسدية لعدة أيام، ولكن فكره خلالها كان مشغولاً بالبحث عن أسباب ما حدث له ولرفاقه، هل كان هناك تقصير من جانبه في توفير أسباب السلامة؟ وهل كان هناك منه تهور عندما ابتعد بقارب صغير عن الشاطئ وذهب في عمق البحر؟ وهل كان لديه إهمال وتهاون عندما لم يسجل اسمه لدى حرس الحدود قبل الرحلة؟

في خضم هذه التساؤلات وتتابع الأفكار، يصر إبراهيم على البحث عن إجابات لما أثاره في نفسه من أسئلة، حتى يأخذ العبرة منها في المستقبل، فبالنسبة للسؤال الأول لم يكن هناك تقصير في وسائل السلامة؛ حيث وفر إبراهيم جميع شروط السلامة التي تقتضيها أنظمة سلاح الحدود، ولم يكن ذهابه بقارب صغير في عمق البحر تهوراً؛ لأن القوارب المماثلة تذهب إلى أبعد من ذلك، وقد كانت له تجارب سابقة في ذلك، أما عن تسجيل اسمه لدى حرس الحدود قبل الرحلة فهو لا ريب أنه إهمال وغفلة، ولكن الإنسان يحب غالباً التفاؤل، ويغلِّب جانب السلامة، ولعل أخذ الشيخ في رحلة بحرية بعيداً، وهو لا يجيد السباحة، ومعه طفل صغير، هو من باب المغامرة غير المحسوبة، نذكر كل ذلك من باب محاسبة النفس ولأخذ العبرة، ولتلافي ما حدث مستقبلاً من قبل الآخرين.

obeikandl.com

# القصة مثيرة..

انتشرت أخبار القصة المثيرة بشكل واسع وبسرعة عجيبة بين عامة الناس وخاصتهم، وحظيت باهتمام خاص من قبل كبار العلماء وطلبة العلم الشرعي، ولا غرابة في ذلك فقد كان أحد أطرافها الشيخ محمد، الذي كان ولا زال يحظى بكثير من المحبة والاحترام بين العلماء والوعاظ والعاملين في المجال الخيري.

كما تناقلها العامة من الناس لمحبة الإنسان وميله إلى متابعة الأحداث المثيرة والتعرف على الغرائب والعجائب، ولما تنطوي عليه هذه الرحلة من دروس وعبر.

كما ذُكرت القصة في محاضرة مسجلة للشيخ سلمان العودة وكان عنوانها (فقه إنكار المنكر).. مجيبا عن سؤال يستفهم عن صحة الأنباء التي تتحدث عن وفاة الشيخ محمد، وأنه قد مات غرقاً في

obeikandl.com

البحر، فكان جواب الشيخ أنه لا صحة لهذه الأنباء، وأنه لا يعلم إن كان هناك أخبار جديدة غير ما سمعه، ثم ذكر أن الذي يعرفه أنه قد تعرض لحادث عجيب في البحر هو وابنه أنس ومعهم شخص آخر، وقد نجوا بأعجوبة، ثم ذكر القصة مختصرة.

وكان الشيخ محمد قد سأل الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (رحمه الله) عن صحة وضوء من كانوا في تلك الرحلة البحرية إذا لم يغمر الماء وجوههم، فقال له الشيخ: ليس عليهم حرج ووضوؤهم صحيح، عملاً بقوله تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا** ﴾ [ **التغابن** : ١٦ ] .

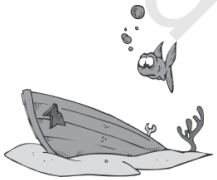

obeikandl.com

# مشاعروأحاسيس

سبحان الذي خلق هذا البحر الهائج المائج، ووضع فيه من آياته وجميل صنعه ما يصعب على الحصر، وذكره في كتابه العزيز في تسعة وأربعين موضعاً؛ منها واحد وأربعون موضعاً بلفظ (البحر)، وفي ثمانية مواضع بلفظ (اليم).

فما أجمل هذا المخلوق العظيم في سكونه وهدوئه، وفي صفائه وحركة أمواجه، وفي عظمته وامتداده البعيد، وما أودع الله فيه من المخلوقات والعجائب.. فيه روعة جمال، وعليه مهابة ووجل، ومنه خوف وفزع لا يخفى على أحد أبدا.

ولكن في الوقت نفسه، ما أسرع غدره، وما أقوى ثورته، وما أشد صولته، وما أعظم سطوته ونقمته، وما أضعف الإنسان أمام هذا كله، وما أضعف حيلته، وما أضيق خياراته.

obeikandl.com

إنّه يبعث الأمل، ويجلبُ الألم، ويبهج الناظر، ويحزن الخائف.. إنه مجال رحب للفرجة والمتعة، وهو -بقدرة الله تعالى- باب واسع من أبواب الرزق، ولكنه قاطع للأرزاق وسالب للأعمار.

ربما يكون البحر من مواطن الاستشفاء للمرضى والضعفاء، وربما يكون من مواطن الهلاك للأصحّاء والأقوياء، فهو قد يبتلع الأحياء في لمح البصر، ويلقيهم في أعماقه لقمة سائغة للحيتان.

obeikandl.com

وفي سياق هذه الأحداث يتذكر الإنسان علاقة الناس مع البحر، وحبهم له ومقتهم تقلبه وعجائب أحواله، وتعلقهم به وخوفهم منه، وإدراكهم لعظم أهواله وعجائب أحواله.. كان هذا موضوعاً دسماً كتب عنه أهل الكتب والتصانيف، وقال فيه أهل الحكمة والأدب، وعبَّر عنه أهل الأدب والشعر.. لقد فصلوا العبارة والرواية عن ساعاته وأيامه الجميلة، ووصفوا أحداثه ونكباته الجسيمة.

وللاستشهاد نورد هنا ما رواه المؤرخون في كتبهم من أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى واليه على مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه طالباً منه أن يصف له البحر وراكبه، فأجاب عمرو قائلاً: (إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، ليس فيه إلا السماء والماء، إن ركد فرّق القلوب، وإن تحرك أراع العقول، يزيد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه دود على عود، إن مال غرق، وإن نجا سرق)، فقال الخليفة عمر: والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبدا. (أحمد ياسين الخياري /غرائب التاريخ وعجائبه ص25 ).

obeikandl.com

في هذا السياق خرجت إلى الوجود هذه التجربة في هيئة قصة واقعية ليست من نسج الخيال، وإن كانت لحظاتها أشبه بالأحلام المرعبة.

تجربة تحمل بين طياتها الابتلاء العظيم، والكرب الثقيل، والغربة المضنية داخل البحر في ظلمة الليل البهيم، وفوق أمواج البحر الهادر، وعلى أبواب الموت الرهيبة.

تجربة تكشف عجز المخلوق أمام مخلوق أعظم منه، وحاجته إلى غوث عاجل من الخالق القادر، وضعف العبد وعجزه وتلهفه إلى رحمة الرب المعبود، وتعبر عن وهن من أوشك على الغرق إلى قوة الله التي هي المنقذ من عنفوان البحر وصلفه.

تجربة تظهر تداعي الأسباب كالسراب، وقصور التقنية التي صنعها الإنسان وانهزامها أمام قوة الطبيعة.

تجربة تفصح عن شعور من وقف على شُرفة الموت، وخاف من قرب لحظات الوداع، وعانق مخالب الاحتضار، ورأى النهاية رأي العين.

تجربة اشتملت على آمال وأشجان، ومتعة انقلبت إلى معاناة، ومشاعر مفعمة بالمحبة والأخوة الصادقة، ومواقف حزينة تغلفها مظاهر الشفقة وإيثار الآخر على النفس.

obeikandl.com

تجربة في قالب طوق نجاة معنوي.. أتاحت للنفس البشرية الخروج من غفلات الإنسان ولهوه في هذه الدار الفانية، وروضة من رياض المناجاة مع الله عز وجل، وحسن التوكل عليه، وحسن الظن به، والثقة المطلقة بالفرج منه.

تجربة – لا شك – صورت مشاعر كبيرة هاجت في الخاطر، فغصَّت بها الكلمات، وعجز عنها التعبير، عُرِض عليكم منها ما استطال إليه البيان، على أن في داخل النفس من عبرها ودروسها ومشاعرها ما لا تحيط المفردات بكنهه ومحتواه، ولا يستطيع القلم تسطيره وكتابته.

كان لإبراهيم مع البحر قصص كثيرة.. كلها جميلة، وغلبت عليها المتعة، والشعور بالانجذاب نحو البحر وعوالمه العجيبة، ولكن التجربة الأخيرة كانت قاسية جداً، وآذنت بقطع الصلة بالبحر، والتشبث باليابسة.

إنها قصة أيقظت الإنسان من غفلته، وأظهرت بعض ما في البحر وركوبه من أهوال وآلام، ومصاعب ولحظات جسام.

obeikandl.com

# خاتمة

بعد هذا التطواف أشير إلى أن ما دفع إلى الكتابة عن هذه المعاناة، هو أن تكون نموذجاً ومجالاً للعبرة والاعتبار، وليكون الإنسان على الدوام في تعامله مع البحر حذراً، آخذاً بكل أسباب السلامة، وليبتعد عن الإهمال والمغامرة والجرأة غير المحسوبة.

وليعلم الإنسان أيضاً - مهما أخذ من الأسباب - أن الحياة والموت بيد الله، ولا مفر من الأقدار إلا بالتوكل عليه وحده، فهذا والله باب من أبواب الإيمان، ونفحة من رحمات الملك الديان.

هذا سرد واقعي مختصر لقصة حقيقية بعيدا عن المبالغة والخيال، وقعت فوق أمواج شاطئ نصف القمر في الساحل الشرقي السعودي، وقد أعرض القاص عن كثير من التفاصيل خشية الإطالة، أو لعدم الفائدة من ذكرها.

obeikandl.com

وفي الختام، عند تأمل صور المعاناة في هذه القصة، لا يجد الإنسان من العبارات ما يفي للقيام بواجب الحمد والثناء لله عز وجل، ولا يستطيع مهما بلغ من درجات الفصاحة والبلاغة الإحاطة بكلمات الشكر التي توازي فضل الرحيم الرحمن، الكريم المنان، اللطيف ذي الجلال والإكرام، فما أعظم المنن والعطاء من الرب الكريم، الذي لا تحيط الخلائق بعدد نعمه وأفضاله، فله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الحكيم الحميد.

انتهى..

أبو لُجين إبراهيم،
المشرف العام على موقع لُجينيات
www.lojainiat.com
abulojain@abulojain.net

obeikandl.com

obeikandl.com

# الملاحق

أولاً - البحر في رحاب الأدب والشعر

ثانياً- الإعجاز العلمي في آيات البحر

ثالثاً - أحكام البحر / الشيخ صالح الفوزان

obeikandl.com

obeikandl.com

## أولاً- البحر في رحاب الأدب والشعر

إن مما أثار إعجابي في شأن البحر، مقال كتبه نعمان نقاش -وهو أحد الأدباء- عن: "أدب البحر"، في صحيفة الصباح العراقية، يحسن ذكره هنا.

قال: إذا عدنا إلى الشعر الجاهلي وجدنا أن للبحر ذكراً عند بعض الشعراء ولعل الشاعر الجاهلي أخذ رؤاه وتصوراته عن البحر من خلال قوافل التجارة البحرية، ومايدور من أحاديث عن البحر عبرها، وأن الشاعر سكن أو رأى المناطق المساحلة للبحر. ولكن النظرة إلى البحر - في العموم - هي نظرة خوف وتردد. ولهذا نجد البحر يتحول إلى مصدر أقاصيص وأساطير مثلها الخيال العربي الثري وهي تشرح الرعب من اقتحام مجاهيل هذا العالم المترامي.

وقد قرن امرئ القيس الليل بموج البحر لرسم صورة مركبة من

obeikandl.com

الرعب، والتتابع اللامنتهي. إذ تتوالى طوائف الليل بلا انتهاء مضيقة الخناق وموغرة الصدر:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علـــي بأنواع الهمـــوم ليبتلي

فالشاعر هنا، يذكر البحر في معلقته الطويلة في بيت واحد فقط مما يدلل على قلة اهتمامه بالبحر. كما أن البيت يشرح رؤية الشاعر المحدودة للبحر. وإذا أكثر الشاعر الجاهلي لم يزد على أبيات قليلة كما في قول طرفة بن العبد في معلقته:

كأن حـــدوج المالكيـــة غـدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدي
يشق حباب الماء حيزو مهابها كما قسم الترب المقايل باليد

فإننا نلمس في تشبيه طرفة، وهو شاعر ألف البحر، حيث عاش في البحرين، الوعي لحركة السفن وإجادة المقارنة بين البحر والصحراء. إلا أننا لا نستطيع أن نسمي هذه الأشعار(أدب بحر) وما كانت حياة العرب آنذاك لتسمح بنشوء مثل هكذا أدب. وهل نطلب من شاعر ألف الصحراء وتشربها أن يكتب قصيدة بحرية.

وجاء الإسلام، فدفع الناس إلى استكناه عالم البحر عن طريق تكثيف التجارة والفتوحات. إضافة إلى ما تضمنه القرآن من حث على اقتحام البحر كما في قوله تعالى: (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر وسخر لكم الأنهار) (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) وقد زاوج الشعراء الإسلاميون بين البحر

obeikandl.com

والصحراء عبر تناولهم وصف البحر والسفن إلا إنهم لم يجاوزوا الشكل والصورة، ولم ينفذوا إلى أسرار الطبيعة في البحر، ومن ذلك قول مسلم بن الوليد يصف البحر والسفينة:

كشفت أهاويل الدجى عن مهوله  بجاريــة محمولة حامــل بكر
لطمت بخديها الحباب فأصبحت  موقفة الدأيات مرقومة النحر

ولكننا نلمس (أدب البحر) عند شعراء الخليج في القرنين الماضيين، حيث امتزج البحر بحياة الخليجيين باعتباره مصدر عيشهم الوحيد فأشربت قصائد شعرائهم بالبحر، من وصف الصيد وأدواته ووصف السفن وأنواعها، وحالات الفرح والحزن في مواسم صيد اللؤلؤ والمرجان لدى الملاحين، وأناشيدهم ومواويلهم، عند رجوعهم بالصيد الثمين. حتى أننا نحس بأن البحر كان جزءاً من لسان الخليج.

وبعد اكتشاف النفط وانفصال حياة الخليجي عن البحر، بقينا نقرأ أدب البحر، ولكنه يتناول البحر رمزاً لا حقيقة. إلا إن هذا الشعر كان أكثر نضجاً وأكثر تمثيلاً لأدب البحر.

لكن هذا النوع من الأدب لم يبلغ الفورة إلا على يد الرومانسيين، وكان الشاعر الرومانسي يقف أمام البحر ليحمله ألامه وآماله ويبحر من خلاله إلى عالمه الحلمي، فيجد فيه متنفساً لطموحه من الوصول لبر أمان موهوم. لان الشاعر أصبح يفضل الماء على اليابسة والخيال على الواقع والوهم على الحقيقة. وقد ظهر شعر بحري قاله شعراء غربيون، مثل رامبو، بودلير، ولامارتين صاحب قصيدة البحيرة،

obeikandl.com

كيتس، لورد بايرون. بل ظهر شعراء انقطعوا إلى البحر وأطلق عليهم (شعراء البحيرة) لطول إقامتهم في منطقة البحيرات، في شمال غربي انكلترا. وقد مثل البحر عند هؤلاء الحرية والانطلاق، بعيداً عن الظل، بعد أن فشلت الثورة الفرنسية في تحقيق أهدافها. وهؤلاء الشعراء، هم: ( وورد زورث، كولدرج، سوذي). وقد تمخضت جهودهم عن ميلاد ديوانهم المشترك( مقطوعات شعرية) وغيرها من الأشعار التي جددت الشعر وطرحت مفاهيم جديدة في فن كتابته. وبانتشار الرومانسية ووصولها إلى الأدب العربي ظهر اهتمام بالبحر عند الشعراء العرب، وخصوصاً المهجرون، الذين وجدوا في البحر مفزعاً لأحزانهم، وخيطا يربطهم بأهليهم على الطرف المقابل، فكان البحر يعني السفر وحلم العودة، فحملوه رسائلهم وأشواقهم وأحزانهم، وأذابوا دموعهم في كؤوس أمواجه المتلاطمة.

ووقف الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي أمام البحر وقفة الفلاسفة، ليسقط عليه( لا أدرياته) الحائرة. ونجد البحر عند شعراء في أرض الوطن العربي، كشعراء الإسكندرية، وأحمد شوقي، وإبراهيم مطران في قصيدته (المساء)، وعبد الرحمن شكري في مطولته (البحر). كما نجد البحر عند شعراء الجيل التالي كأمل دنقل، وصلاح لبكي وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، ونازك الملائكة.

وهاهو بدر شاكر السياب الذي حمل الخليج تباريحه وأحزانه، وصاح به مستغيثاً عله يساعده على العودة إلى وطنه العراق في قصيدته (أنشودة المطر ):

أصيح بالخليج ياخليج
باواهب اللؤلؤ والمحار والردى
فيرجع الصدى
كأنه النشيج
ياخليج، ياواهب المحار والردى
وفي ( غريب على الخليج ) يقول السياب:
يا لمعة الأمواج رنحهنّ مجداف يرود
بي الخليج، ويا كواكبة الكبيرة، يا نقود!
ليت السفائن لا تقاضي راكبيها عن سفار
أو ليت إن الأرض كالأفق العريض، بلا بحار !

وبانحسار الموجة الرومانسية قل الاهتمام بالبحر، إذ رجع الشاعر منه إلى مدينته المثقلة بهموم( الواقع ) وكلما أوغل في واقعيته ابتعد عن البحر. إن الواقعية جعلت البحر متجمداً لا يصلح لسباحة المشاعر ومخر عباب الهواجس والأطياف، ولم يعد البحر إلا سبيلاً للتنزه وتخلصاً من رتابة الحياة المملة، أو للعمل التجاري، أو لأشياء أخرى أوجبتها الحياة المعاصرة المعقدة.

ومنها القصة الشهيرة: (العجوز والبحر)، وهي رواية دونها إرنست همنجواي في هافانا، كوبا في عام 1951، فكانت إحدى روائعه إلى جانب «وداعاً للسلاح» و«ثلوج كلمنجارو» وغيرها. و حاز بسببها على جائزة نوبل في الأدب و جائزة بوليتزر الأمريكية "لأستاذيته في فن الرواية الحديثة ولقوة أسلوبه كما يظهر ذلك بوضوح في قصته

obeikandl.com

الأخيرة (العجوز والبحر)، كما جاء في تقرير لجنة نوبل.

وملخص القصة: أن (سانتياجو) كان صيادًا عجوزًا، متقدمًا في السن، ولكنه لا يزال متمتعا بحيوية.. كان لا يزال رابضا في زورقه، وحيدا، ساعيا إلى الصيد في خليج "جولد ستريم""، ومضى أكثر من ثمانين يوما ولم يظفر ولو بسمكة واحدة.. رافقه في الأيام الأربعين الأولى ولد صغير كان بمثابة مساعد له، لكن أهل هذا الأخير أجبروا ولدهما على قطع كل صلة بالصياد، وذهب الغلام يطلب العمل في زورق آخر استطاع صياده أن يصطاد بضع سمكات منذ أول الأسبوع، وأشد ما كان يؤلم الغلام رؤية العجوز راجعا إلى الشاطئ في مساء كل يوم وزورقه خال خاوي الوفاض، ولم يكن يملك إلا أن يسرع إليه ليساعده في لملمة حباله، وحمل عدة الصيد وطوى الشراع حول الصاري، وكان هذا الشراع يبدو وكأنه علم أبيض يرمز إلى الهزيمة التي طال أمدها.

وفي يوم خرج إلى البحر لكي يصطاد إذ علق بخيوطه سمكة كبيرة جداً حجمها أكبر من حجم قاربه، وبدأ يصارعها، فلا يتخلى العجوز عن السمكة، و يصارعها عدة أيام و ليالي وتأخذه بعيداً عن الشاطئ، ثم يتمكن منها، ويملؤه السرور، ويربطها في المركب، ويبدأ رحلة العودة، ويلقى في طريق العودة أسماك القرش التي جذبتها رائحة الدم من السمكة، وأخذ سانتياجو يصارع أسماك القرش، وفي النهاية تنتصر أسماك القرش، فلا يبقى سوى هيكل عظمي،

يتركه على الشاطئ، ليكون فرجة للناظرين ومتعة للسائحين، فتذهب الجائزة و يبقى المجد. (اقتباس من: ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

ومن طريف رؤية الشعراء للبحر قول الدكتور فواز بن عبد اللعزيز اللعبون في مناجاة هامسة بينه وبين البحر:

يا بحرُ جئتُ ونارُ البَوحِ تَندلعُ
عَوَّدتَني حينَ أشكو الوَجدَ تَستمعُ

أدري بشجوِكَ.. كم ناجاكَ منكسرٌ
وكم شكا لكَ مقهورٌ ومنفجع

من غابرِ الدهرِ تأسو صَدْعَ أضلعِنا
حتى تكادَ لما تلقاهُ تنصدعُ

أنتَ الوفيُّ فبَرِّحْ واحتمِلْ شَجَني
لي فيكَ رغمَ زحامِ الشجوِ مُتَّسَعُ

حاشاكَ ما كنتَ غداراً كما زَعموا
وأنتَ مِن أدمُعِ العشاقِ مُجْتَمِعُ

ظَنوا اضطرابَكَ عصياناً ولو شَعروا
لأدركوا فيه نبضاً كلُّهُ وَجَعُ

ورَجَّمُوا فيكَ سِرَّ الفيضِ يَغمرُهُمْ
ولو رأوا حولَكَ الباكينَ لاقتنعوا

كم زفرةٍ زَلزلَتْ أثباجَكَ انطَلقَتْ
من قاعِها موجةً هوجاءَ تندفعُ

وكــم شــكايةِ مغــدورٍ بــكَ امتَزجَــتْ
فمُجْــتَ عاصفــةً تُرغــي وتَبتلــعُ

ما ثُــرْتَ يــا بحــرُ إلا مِن مواجــعِ مَن
بَثُّــوْكَ صدقَهُــمُ في الحــبِّ وانخدعوا

وأقول: من المؤكد أن الشاعر لم ير أهوال البحر حقيقة، وإلا لكان هجا البحر وأهواله.. هذا إن كتب له الله النجاة.

obeikandl.com

## ثانياً- الإعجاز العلمي في آيات البحر

**آيات الإعجاز:**

قال الله تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور: ٤٠] .

المعنى اللغوي: جاء في لسان العرب:يغشاه: غشيت الشيء تغشية إذا غطيته. لجّي: لُجة البحر: حيث لا يدرك قعره، ولجّ البحر: الماء الكثير الذي لا يُرى طرفاه. ولُجّ الليل: شدة ظلمته وسواده.

التفسير: ذكر الإمام القرطبي في تفسيره للآية الكريمة ما يلي: "المراد بهذه الظلمات، ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر ، فلا يبصر مَنْ كان في هذه الظلمات شيئاً.

obeikandl.com

مقدمة تاريخية: لقد اعتقد الإنسان قديماً بخرافات عديدة عن البحار والمحيطات، ولم تتوفر للبحارة آنذاك معرفة علمية حقيقية عن الأحوال السائدة في أعماق البحار، حيث كانت المعلومات عن التيارات البحرية نادرة.

وهذا ما حدا بالخرافات إلى الإحاطة بالبحار الراكدة، التي لا يمكن أن تعبرها البواخر، حيث اعتقد الرومان القدماء بوجود أسماك مصاصة لها تأثيرات سحرية على إيقاف حركة السفن، ورغم أن القدماء كانوا على علم بأن الرياح تؤثر على الأمواج والتيارات السطحية، إلا أنه كان من الصعوبة بمكان معرفة شيء عن الحركات الداخلية في البحار.

ويبين تاريخ العلوم أن الدراسات المتصلة بعلوم البحار وأعماقها لم تبدأ إلا في بداية القرن الثامن عشر، عندما اخترعت الأجهزة المناسبة لمثل هذه الدراسات الدقيقة. ومن هذه الأجهزة التي استعملت لقياس عمق نفاذ الضوء في مياه المحيط هو: "قرص سيتشي" (The Secchi disk)، وهو عبارة عن قرص أبيض يتم إنزاله في الماء ليسجل العمق الذي تتعذر رؤيته كنقطة قياسية. ومع نهاية القرن التاسع عشر تم استخدام الوسائل التصويرية التي تم تطويرها خلال الثلاثينات من القرن العشرين، حيث استعملت الخلايا الكهروضوئية. ويعود الفضل في تفسير ظاهرة الأمواج الداخلية للدكتور "إيكمان" (V.W.Ekman) في أوائل القرن العشرين.

**حقائق علمية:**

- اكتشف العلماء أن البحار والمحيطات مغطاة بسحب ركامية كثيفة تحجب قسماً كبيراً من ضوء الشمس.
- تمتص مياه البحار ألوان الطيف الضوئي تدريجياً، كلما زادت هذه الألوان تعمقاً، فتنشأ مستويات من الظلمات داخل هذه البحار ويشتد الظلام بعد عمق 1000 متر حتى إذا أخرج الإنسان يده لم يراها.
- كشفت علوم البحار الحديثة عن وجود أمواج عاتية في البحار العميقة.
- استطاع العلماء من مشاهدة الأسماك في البحار العميقة على عمق يتراوح بين (600 م – 2700 م) والتي تستخدم أعضاء مضيئة لترى في الظلام وتلتقط فريستها.

**التفسير العلمي:** كشفت علوم البحار الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين عن أسرار مدهشة في أعماق البحار والمحيطات، وسنقتصر هنا على ذكر ظاهرتين هما: ظلمات البحر العميقة وحركة الأمواج الداخلية.

**- الظاهرة الأولى: ظلمات البحر العميقة:**

غالباً ما تكون البحار والمحيطات مغطاة بسحب ركامية كثيفة تحجب قسماً كبيراً من ضوء الشمس، كما يظهر في أكثر صور الأقمار الاصطناعية، فتعكس هذه الغيوم كمية كبيرة من أشعة الشمس وتحجب قسماً كبيراً من ضوئها، وأما الضوء الباقي فيعكس

obeikandl.com

الماء قسماً منه، ويمتص القسم الآخر، الذي يتناقص تناقصاً رأسياً مع تزايد عمق المياه. وهذا ما أشارت إليه الموسوعة البريطانية.

وقد ذكر جيرلوف في كتابه: (Marine Optics) أنه ينخفض مستوى الإضاءة في مياه المحيط المكشوفة إلى نسبة: (10%) من مستواه عند السطح على عمق 35 متراً، وإلى: (1%) على عمق 85 م، وإلى: (0.1%) على عمق 135م، وإلى: (0.01%) على عمق 190م. ويشتد الظلام بعد عمق 1000 متر حتى إذا أخرج الإنسان يده لا يراها.

هذه الحقائق العلمية المدهشة ذكرها القرآن الكريم الذي أنزل على عرب في الصحراء لا يعرفون السباحة ولا خوض البحار والمحيطات، حيث جاء في الآية الأربعين من سورة النور قول الله تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾. فهذه الآية تتطابق مع تلك الحقائق، إذ قررت أن البحار العميقة غالباً ما تعلوها السحب، وفي قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ**﴾ تدل على انعدام الرؤية ويؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ**﴾ فاللجي هو الشديد الظلمة والعمق. والأسماك في ذاك العمق ليس لها عيون بل إنها مجهزة بنور بيولوجي كما ورد في الموسوعة البريطانية. وهذا وجه قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾. فهذه الأسماك قادرة على استبيان طريقها ومعرفته من خلال أعضاء منيرة خلقها الله تعالى في جسمها.

وقاع البحر المنحدر يتغير لونه بصورة تدريجية إلى الأزرق حتى يختفي تماماً مع تزايد العمق، كما أن نفاذ ألوان طيف الضوء إلى البحار تتناسب عكسياً مع ازدياد العمق. فكلما زاد العمق، نشأت ظلمة حالت دون رؤية بعض ألوان الطيف الضوئي. ولذلك قال الله تعالى: (ظُلُمَات) ولم يقل (ظلمة) وقال: ﴿ **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ** ﴾.

لقد لاحظ الدكتور "وليام هي" "HAY" أن الصيادين قادرون على استخدام الاختلاف الظاهر في لون الماء لتحديد العمق بدقة ملحوظة، وأبسط جهاز علمي لقياس عمق نفاذ الضوء في مياه المحيط – كما ذكر آنفاً– هو قرص سيتشي (The Secchi disk) الذي يتم إنزاله في الماء ليسجل العمق الذي تتعذر رؤيته كنقطة قياسية (أساسية).

**الظاهرة الثانية: حركة الأمواج الداخلية.**

إن صورة طبقات الأمواج التي تعلو إحداها الأخرى على سطح البحر تأخذ بالعقول، وهذه الظاهرة للأمواج معروفة تماماً لدى البحارة والصيادين. ولكن الشيء الأشد غرابة الذي لم يعرفه الإنسان إلا قبل مائة سنة فقط، هو تلك الأمواج الداخلية الموجودة في أعماق البحار، والتي تتولد على امتداد السطح الفاصل بين طبقتين من المياه المختلفة من حيث الكثافة، والضغط والحرارة والمد والجزر، وتأثير الرياح. كما ورد في الموسوعة البريطانية. والاختلاف في كثافة المحيط المفتوح أقل منه في المناطق الساحلية التي تصب فيها المياه العذبة من أنهار وجداول وغيرها. ويتشكل السطح الفاصل بين

الكثافات المختلفة عند منطقة الهبوط الحراري الرئيسي، فيفصل مياه السطح الدافئة عن مياه الأعماق الباردة. وقد يتراوح سمك طبقة المياه الدافئة من بضع عشرات إلى مئات من الأمتار.

وهذه الأمواج التي تتشكل على هذا السطح الفاصل بين الطبقتين المائيتين المختلفتين في الكثافة والملوحة والحرارة، تشبه الموجات السطحية،. ولكن لا يمكن أن تشاهد بسهولة من فوق سطح الماء، وتستهلك عملية تكونها جزءاً كبيراً من الطاقة التي كان يمكن استخدامها لدفع سفينة ما إلى الأمام. فنجد بعض السفن التي تبحر في هذه المياه تفقد فجأة قدرتها على التقدم، داخلةً فيما يعرف بظاهرة المياه الراكدة التي كان الفضل في تفسيرها ودراستها للدكتور السويدي فان إيكمان (V.W.Ekman) في أوائل القرن العشرين، كما جاء في الموسوعة البريطانية. وقد قال عز وجل: ﴿**فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ**﴾ والمعنى أن الموج يغشى البحر اللجي وهذا ما أكده علماء البحار حيث قالوا بأن البحر اللجي العميق يختلف عن البحر السطحي وأن الأمواج الداخلية لا تتكون إلا في منطقة الانفصال بين البحر السطحي والبحر العميق. ولهذه الأمواج الداخلية أنواع مختلفة أهمها ما ينشأ في المضايق والقنوات، فمثلاً عند مضيق جبل طارق، يتسبب التدفق الداخلي للتيار السطحي القوي، والتدفق الخارجي للتيار السفلي، في دخول الأمواج الداخلية من المحيط الأطلسي إلى المضيق، كأنها أمواج متكسرة، مثل الأمواج المزبدة على الشاطئ، مما يتسبب في قدر كبير من الاضطرابات الداخلية.

obeikandl.com

إذن، هناك سحاب وهناك موج سطحي وأمواج داخلية، فإذا سقط الشعاع الضوئي من الشمس، فإن السحاب يمتص بعضه فتحدث ظلمة، فإذا سقط على الموج السطحي عكس هذا الموج بعضه أيضاً، فإذا نزل الشعاع إلى الموج الداخلي انعكس وحدثت ظلمة. ثم إن كثافة الماء العميق تمتص ما بقي من أشعة الشمس على عمق 1000 متر، فيتم الظلام في هذه المنطقة أي في البحر اللجي العميق ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

**من المراجع العلمية:**

ذكرت الموسوعة البريطانية: "إن جزيئات الماء والأملاح الذائبة، والمواد العضوية، والأجسام الدقيقة العالقة تجتمع معاً لتسبب انخفاضا في شدة الإشعاعات الشمسية المتاحة كلما ازدادت تعمقاً".

وتذكر الموسوعة البريطانية أيضا: "بشكل عام، أي فصيلة من الأسماك صنف (Osteichthyes) موجودة في أقصى أعماق المحيطات، عادة فوق الـ 600 م وحتى إلى حد 2700 م (2000 إلى 9000 قدم). الفصائل التي تمثل أكثر من العائلات السمكية البحرية، تتميز بأفواه كبيرة وبوجود عضو مضيء على بعض أو عدة أجزاء من الجسم. والأعضاء التي تنتج الضوء تقوم بجذب فريستها أو الأزواج الممكنة. هذه الميزات وغيرها من السمات الغريبة التي تتميز بها أسماك البحر العميق، تظهر التكيفات التطورية مع الضغط الشديد والبرد وبالأخص بيئتهم المظلمة".

obeikandl.com

وتذكر الموسوعة البريطانية أيضا أن "الأمواج موجودة أيضا في السطوح الداخلية للمحيطات. وهذه السطوح تمثل أطباقاً من التغير السريع في كثافة الماء مع ازدياد العمق، والأمواج التي تصحبها تدعى الأمواج الداخلية. وسبب وجود هذه الأمواج الداخلية يمكن في تأثير قوى المد والجزر أو في تأثير الرياح أو تقلبات الضغط. ويمكن أحياناً لسفينة ما أن تسبب في حدوث أمواج داخلية إذا كانت هناك طبقة علوية قليلة العمق والملوحة".

ويذكر نفس المصدر (الموسوعة البريطانية): "كشف "إيكمان" عن نظريته ومواهبه التجريبية في دراسته لما يسمى بالماء الراكد، الذي يؤدي إلى تحريك بطيء للقوارب لتصبح تتردد واقفة في مكانها بسبب انتشار طبقة من المياه العذبة فوق هذا البحر والآتية من ذوبان الثلوج".

**وجه الإعجاز:**

وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو تصريحها بوجود ظلمات في أعماق البحار متراكمة فوق بعضها البعض، وكذلك وجود أمواج داخلية في البحار والمحيطات العميقة والتي غالباً ما تغطي هذه البحار والمحيطات، سحب ركامية تحجب قدراً مهماً من أشعة الشمس، وهذا ما كشفت عنه دراسات علماء البحار في أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين. المرجع ( الموسوعة الإسلامية المعاصرة ).

obeikandl.com

## ثالثاً- قبسات من كتاب الأطعمة وأحكام الصيد والذبائح

تأليف الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

**حكم صيد البحر، وفيه ثلاث مسائل:**

**المسألة الأولى:** في بيان ما اختلف في حله من حيوانات البحر مع الاستدلال والترجيح:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ** ﴾ [1]. المراد بالبحر الماء الكثير المستبحر الذي يوجد فيه السمك وغيره من الحيوانات المائية التي تصاد. وصيد البحر: كل ما صيد من حيتانه فالصيد هنا يراد به المصيد وأضيف إلى البحر لما كان منه وهذا يشمل كل ما يعيش فيه عادة وهو ضربان:

obeikandl.com

أحدهما: ما يعيش في الماء وإذا خرج منه كان عيشه عيش المذبوح كالسمك بأنواعه.

**الثاني:** ما يعيش في الماء وفي البر أيضاً كالتمساح والسرطان[2].

**وقد اختلف العلماء فيما يحل من حيوان البحر على أقوال:**

**القول الأول:** حل جميع حيوان البحر وهذا قول المالكية – والأصح من مذهب الشافعية[3].

القول الثاني: حل جميع ما في البحر إلا الضفدع والتمساح والحية وهو قول الحنابلة [4].

القول الثالث: جميع ما في البحر من الحيوان محرم الأكل إلا السمك خاصة فإنه يحل أكله إلا ما طفا منه وهذا قول الحنفية. ووجه في مذهب الشافعية [5].

القول الرابع: يؤكل السمك وأما غير السمك فيؤكل منه ما يؤكل نظيره في البر كالبقر والشاة وغيرها – وما لا يؤكل نظيره في البر كخنزير الماء وكلبه فحرام وهذا وجه آخر في مذهب الشافعية[6]، وقول في مذهب الحنابلة [7].

توجيه كل قول من هذه الأقوال:

● وجه القول الأول: التمسك بعموم قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ**﴾. قال ابن عباس: (صيده) ما صيد و (طعامه) ما قذف. وقوله صلى الله عليه وسلم (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) [8].

openkanar.com

● وجه القول الثاني: هو التمسك بعموم الآية السابقة ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ**﴾ واستثنى الضفدع للنهي عن قتله [9]، لأنه يدل على تحريمه عند من يراه. واستثنى التمساح لأنه يأكل الناس والحية لأنها من المستخبثات.

● وجه القول الثالث: فيما يُرى تحريمه من حيوان البحر قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ**﴾، حيث لم يفصل بين البري والبحري وقوله عز شأنه: ﴿**وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ وما سوى السمك (من حيوان البحر) خبيث كالضفدع والسرطان والحية ونحوها [10].

● وجه القول الرابع: فيما يُرى تحريمه قياساً ما في البحر على ما في البر ولأن الاسم يتناوله فيعطي حكمه[11].

فتلخص مما مر: أنه لا خلاف بين العلماء في حل السمك على اختلاف أنواعه غير الطافي. وإنما اختلف فيما كان على صورة حيوان البر المحرم أكله كالآدمي والكلب والخنزير والثعبان ونحوها[12].

**الترجيح:**

والذي يظهر لي ترجيحه قول المالكية وهو حل جميع صيد البحر لعموم قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ**﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم في البحر: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)، ولم يصح ما يخصص هذا العموم.

أما ما استدل به من يرى تحريم ميتة البحر من عموم قوله تعالى: ﴿**حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ**﴾ فالجواب أنه عموم مخصوص بقوله صلى الله عليه وسلم في البحر: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته).

obeikandl.com

وأما ما استدلوا به من عموم قوله تعالى: ﴿**وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ على تحريم السرطان والحية ونحوها من حيوان البحر، فلا نسلم أن هذه الأشياء من الخبائث، ومجرد إدعاء أن هذه من الخبائث لا يرد به عموم الأدلة الصريحة.

وأما قياسهم ما في البحر في التحريم على نظيره المحرم في البر. فهو قياس في مقابلة نص وهو قوله: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ**﴾ فلا يصح.

**المسألة الثانية:** في بيان حكم ميتة البحر مع الاستدلال، والترجيح:

حيوان البحر قسمان: قسم لا يعيش إلا في الماء وإن خرج منه مات كالحوت. وقسم يعيش في البر والبحر كالضفادع ونحوها.

فأما الذي لا يعيش إلا في الماء ففي حكم ميتته التفصيل الآتي:

1 – ما مات بسبب ظاهر كضغطه أو صدمه حجر أو انحسار ماء أو ضرب من الصياد أو غيره حلال وفاقاً [13].

2 – ما مات حتف أنفه وطفا على وجه الماء بأن صار بطنه من فوق [14]، فعند الثلاثة مالك والشافعي وأحمد[15]، هو حلال وعند أبي حنيفة لا يحل [16].

ودليل الثلاثة على الحل عموم قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ**﴾ والمراد بطعامه ميتته عند جمهور العلماء [17]. فهو يدل على إباحة ميتة البحر مطلقاً وقوله صلى الله عليه وسلم في البحر: (هو

الطهور ماؤه الحل ميتته) [18]، وحديث جابر قال: غزونا جيش الخبط – هو ما يسقط من الورق عند خبط الشجر – وأميرنا أبو عبيدة [19]، فجعنا جوعاً شديداً فألقى البحر حوتاً ميتاً لم نر مثله يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه فمر الراكب تحته، قال فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: كلوا رزقاً أخرجه الله عز وجل لكم. أطعمونا إن كان معكم فأتاه بعضهم بشيء فأكله متفق عليه.

ففي هذا الحديث دليل على إباحة ميتة البحر سواء مات بنفسه أو مات بالاصطياد[20]. وطلب النبي ﷺ من لحمه وأكله ذلك، أراد به المبالغة في تطييب نفوسهم في حله، وأنه لا شك في إباحته وأنه يرتضيه لنفسه.

وأما دليل أبي حنيفة على تحريم الطافي فهو حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: ما نضب عنه الماء فكلوا وما لفظه الماء فكلوا وما طفا فلا تأكلوا [21].

قالوا: وميتة البحر المباحة في الحديث السابق، ما لفظه البحر، ليكون موته مضافاً إلى البحر، لا ما مات فيه من غير آفة [22].

وأجابوا عما استدل به الثلاثة والجمهور بما يأتي:

أجابوا عن الاستدلال بالآية وهي قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ**﴾ بأنه لا حجة فيها، لأن المراد من قوله تعالى: ﴿**وَطَعَامُهُ**﴾ ما قذفه البحر إلى الشط فمات كذا قال أهل التأويل،

obeikandl.com

وذلك حلال عندنا لأنه ليس بطاف، إنما الطافي اسم لما مات في الماء من غير آفة وسبب حادث، وهذا مات بسبب حادث وهو قذف البحر، فلا يكون طافياً. والمراد من الأحاديث التي تبيح ميتة البحر غير الطافي لما ذكرنا[23].

**الترجيح:**

والراجح ما ذهب إليه الثلاثة والجمهور من إباحة ميتة البحر مطلقاً لقوة أدلتهم وهي ألفاظ عامة في ميتة البحر، وتخصيص النص العام لا بد له من دليل من كتاب أو سنة يدل على التخصيص.

وأما ما استدل به الحنفية من النهي عن أكل الطافي، فحديث ضعيف باتفاق أئمة الحديث لا يجوز الاحتجاج به، لو لم يعارضه شيء، فكيف وهو معارض بأحاديث صحاح [24]. والقياس يقتضي حل ميتة البحر مطلقاً لأنه سمك لو مات في البر لأكل بغير تذكية ولو نضب عنه الماء أو قتلته سمكة أخرى لأكل فكذلك إذا مات وهو في البحر[25].

وتخصيصهم طعام البحر الوارد إباحته في الآية الكريمة بما قذفه البحر إلى الشط تخصيص لا دليل عليه. فالآية عامة وكذا استثناؤهم الطافي من ميتة البحر وحكمهم بتحريمه، استثناء لا دليل عليه، يخصصه من عمومات الأدلة المبيحة لميتة البحر مطلقاً.

**المسألة الثالثة:** في بيان حكم أكل ما يعيش في البر والبحر:

ما يعيش في البر من حيوانات البحر كالضفادع والسلحفاة والسرطان وترس الماء، فقد اختلفوا في حله فذهب مالك إلى حله

مطلقاً لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ ولا طعام له غير صيده إلا ميتته كما قال جمهور العلماء، وقوله صلى الله عليه وسلم في البحر: هو الطهور ماؤه الحل ميتته، ففيه التصريح بأن ميتة البحر حلال، فيعم كل ميتة مما في البحر[26].

ونقل النووي[27] أن الصحيح المعتمد عند الشافعية حل ميتة جميع ما في البحر إلا الضفدع، ويحمل ما ذكره الأصحاب أو بعضهم من السلحفاة والحية والنسناس على ما يكون في ماء غير البحر. وقال: طير الماء كالبط والأوز ونحوهما حلال كما سبق، ولا يحل ميتته بلا خلاف بل تشترط ذكاته. ويضيف إلى ذلك صاحب مغني المحتاج قوله: ويوافقه قول الشامل بعد نقله نصوص الحل: قال أصحابنا أو بعضهم يحل جميع ما فيه إلا الضفدع للنهي عن قتله أ.هـ.

وأما رأي الحنابلة في ذلك فينقله لنا صاحب المغني بقوله[28]: كل ما يعيش في البر مع دواب البحر، لا يحل بغير ذكاة كطير الماء والسلحفاة وكلب الماء إلا ما لا دم فيه كالسرطان، فإنه يباح بغير ذكاة أ. هـ.

وأما الحنفية فيحمل لنا مذهبهم في هذه المسألة صاحب بدائع الصنائع حيث يقول[29]: جميع ما في البحر من الحيوان محرم الأكل إلا السمك خاصة، فإنه يحل أكله إلا ما طفا منه وهذا قول أصحابنا رضي الله عنهم أ.هـ.

فيمكننا حينئذٍ أن نستخلص من هذا العرض الموجز أراء المذاهب الأربعة في حكم أكل ما يعيش في البر من حيوانات البحر على النحو التالي:

obeikandi.com

1- عند المالكية تحل مطلقاً.

2- عند الشافعية تحل مطلقاً ما عدا الضفدع فلا يحل بحال. وما عدا طير الماء فلا يحل بغير ذكاة.

3- عند الحنابلة لا تحل بغير ذكاة مطلقاً – ما عدا السرطان فإنه يحل بغير ذكاة لأنه لا دم له.

4- عند الحنفية لا يحل بحال، لأنه ليس بسمك. تم بحمد الله..

obeikandl.com

## الهوامش

1- المائدة آية 56.

2- تفسير المنار ص 113 ج 7 وتفسير القرطبي ص 318 ج 6 والمجموع ص 31 - 32 ج 9.

3- بداية المجتهد ص 345 ج 1 والشرح الكبير ص 115 ج 2 ومغنى المحتاج ص 291 ج 4 والمجموع ص 32 ج 9.

4- المقنع بحاشيته ص 529 ج 3.

5- بدائع الصنائع ص 35 ج 5 والمجموع ص 32 ج 9.

6- المجموع ص 32 ج 9.

7- المقنع بحاشيته ص 529 ج 3.

8- رواه مالك والشافعي والأربعة وابن خزيمة، وصححه البخاري فيما حكاه عنه الترمذي / من تلخيص الخبير ص 9 ج 1.

obeikandl.com

9- رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم والبيهقي / نفس المصدر ص 276 ج 2 وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه / نصب الراية ص 201 ج 4.

10- البدائع ص 35 ج 5 وتكملة فتح القدير ص 503 ج 9.

11- مغني المحتاج ص 299 ج 4.

12- انظر فتح الباري ص 619 ج 9 وشرح النووي على صحيح مسلم ص 86 ج 13.

13- المغني مع الشرح الكبير ص 84 ج 11.

14- الدر المختار بحاشية ابن عابدين ص 195 ج 5.

15- الشرح الكبير للدردير ص 115 ج 2 والمجموع ص 33 ج 9 والمغني مع الشرح الكبير ص 84 ج 11.

16- الدر المختار وحاشيته لابن عابدين ص 195 ج 5 وتكملة فتح القدير ص 503 ج 9.

17- تفسير الشنقيطي ص 90 ج 1.

18- رواه مالك والشافعي والأربعة وابن خزيمة، وصححه البخاري فيما حكاه عنه الترمذي / من التلخيص الخبير ص 9 ج 1.

19- هو أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح الصحابي أحد المبشرين بالجنة كان لقبه أمين الأمة توفي سنة 18 هـ / الأعلام ص 21 ج 4.

20- فتح الباري ص 618 ج 9.

21- رواه أبو داود مرفوعاً وروى موقوفاً وقد أسند من وجه ضعيف وقال الترمذي: سألت البخاري عنه فقال ليس بمحفوظ ويروى عن جابر خلافه / فتح الباري ص 618 ج 9.

obeikandl.com

22- تكملة فتح القدير ص 513 ج 9.

23- بدائع الصنائع ص 36 ج 5.

24- النووي على صحيح المسلم ص 87 ج 13.

25- فتح الباري ص 619 ج 9.

26- تفسير الشنقيطي ص 91 – 93 ج 1 باختصار وانظر الشرح الكبير للدردير ص 115 ج 2.

72- ص 32 – 33 ج 9 من المجموع (5) ص 298 ج 4.

82- ص 83 ج 11 مع الشرح الكبير.

92- ص 35 ج 5.

obeikandl.com